الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر



الشعر الإنجليزى الحديث

ماهر شفيق

المكتبة الثقافية
(جامعة حرة)
العدد (٢٧٣)

الشعر الإنجليزي الحديث

ماهر شفيق

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧١



تصدير

الحداثة في الشعر كلمة ربما كانت تنطوى على بعض الابهام : فهى ـ زمنيا ـ واضحة المدلول ، ولكنها ـ فنيا ـ تشير الى خصائص شعرية معينة تجعل من صاحبها معبرا عن حساسية الانسان الحديث ، ونتاجا شرعيا لكل ماجاءت به تطورات القرن العشرين من معطيات جديدة فى الفكر والفن والتكنولوجيا • وبهذا المعنى الأخير نعالج فى هذه المقالة نخبة من الشعراء الانجليز المحدثين مؤمنين بأن الفيصل فى الفن هو نوعية التفكير وطريقة التعبير ، لا تقاويم السنين والأزمان ، وان استبقينا من المنهج التاريخى تعريفا وجيزا بحياة من نتحدث عنهم من الشعراء •(١)

---

(١) اعتمدت فى تراجم الشعراء على «معجم تراجم الادباء الانجليز والامريكان» وضع جون • وكزن ، تنقيح د• براونتج ، لندن دنت ١٩٦٢ •

ومراعاة للتسلسل الزمنى عند الحديث عن اسـهام كل منهم ٠

وانه لمن البديهى ألا تتسع مثل هذه المقالة الوجيزة للالمام بكل من يستحقون أن يذكروا من الشعراء ٠ وكم من شاعر مبدع ، له أعماله الجديرة بالبقـاء ، لا يظهر هنا ! ولكنى حاولت ـ لقاء ذلك ـ ألا أدرج فيمن اخترتهم الا من يسـتحق ألا ينسى فى أى حديث عن الشـعر الانجليزى الحديث ٠

وكانت معـايير الحداثة التى أقمت عليها اختيارى هى ـ بايجاز ـ كما يلى : الانفتاح على روح العصر ، الوعى بالتقاليد ، الأصالة التكنيكية ، سعة المدى والالمام بالتراث البشرى فى شتى الميـادين ، المزاوجة بين الحرية والنظام فى الأشكال الشعرية، الجمع بين الماضى والحاضر والمأسوى والملهوى والجليل والسخرى فى سمط واحد ، المتضمنات الخلقية والنفسية والاجتماعية التى لا مفر من توافرها فى فن أداته الكلمة، وأخيرا القدرة على أثراء روح القارىء وعقله وقلبه معا ٠

ومن الخير ، ايضاحا لمراتب الأولويات التى قام عليها هذا الاختيار ، ان أوضح ما يلى : ان الشعر ـ فى اعتقادى ـ هو ، فى المحل الأول ، «أصفى» الاشكال الادبية ، ان كان لمثـل هـذه الكلمات من معنى ، وأقربها الى بلوغ وضع الموسيقى ، حيث تحـل الرموز محـل الدلالات الواقعية

المباشرة ، وأنه ليس فلسفة ، ولا تاريخا ، ولا علم نفس ، ولا علم اجتماع ، ولا سياسة ، ولا اقتصادا ، وانما هو فن تدخل دراسته في نطاق علم الجمال ، وانما المعول فيه على نزاهة الشاعر الخلقية ، وتجرده من أهوائه الذاتية، وسعيه الى خـــدمة ربة الفن بأقصى ما يملك من جهـــد وموهبة وتكريس .

ولأن المعول فى الشعر على التقاليد الفنية لا الحدود الجغرافية ، فقـــد أدرجت فى هذه المقـــالة شعراء منهم البريطاني ومنهم الأمريكي، منهم البريطاني مولدا والامريكي جنسية ، والامريكي مولدا والبريطاني جنسية ، مؤكدا ان الشـــعر الانجليزى - أى المكتوب بالانجليزية - بدن حى واحد تمتد شرايينه عبر شاطئى الأطلنطى ، وتدور حول الكرة منتظمة عدة قارات .

ماهر شفيق فريد

كلية الآداب - جامعة القاهرة



مطلع القـــرن

قبل أن نتحدث عن الشعر الانجليزى اليوم ، يجدر بنـــا أن نرتد الى الوراء قليـــلا ، ناظرين في طابعه العام واتجاهاته عند استدارة القرن •

وقد شاع بين نقـاد الأدب ومؤرخيه ، ممن يسرفون في تمجيد الحـــداثة والدعوة اليهـــا ، رفض كل الشعر الجورجى (الذى ظهر فى عصر الملك جورج الخامس) ، واعتباره رومانتيكية مخففة ، لا تعدو أن تكون أصداء واهنة لمنجزات الجيل الرومانتيـكى العظيم ، وجولات فى طرق الريف ودروبه ، يعوزها العمق والتركيز ؛ ولا تســـتحق الدرس الا لكونها قد أثارت رد فعل جيل اليوت وباوند وهيوم •

وفى هذا الرأى صواب قليل ، وخطأ كثير •

فمن الصواب أن هذه الفترة لم تكن من عصور الشعر العظيمة ، كالعصر الاليزابيثى ، أو العصر الرومانتيكى ، أو حتى العصر الفيكتورى ٠

ومن الصواب ان أغلب شعرائها — مثل كبلنج وجون ماسفيلد — قد جنحوا الى الخطابة ، والبلاغة الرنانة ، دون عكوف على الذات وامتياح من أعماقها ، أو جنحوا — مثل أتباع أوسكاروايلد — الى جمالية مزخرفة ، خاوية فى أعماقها ، لا تشبع مطالب العقل والتفكير ٠ أو جنحوا الى خلق عالم من الأحلام ، ونظروا الى الريف الانجليزى على أنه بيئة رعوية جميلة ، كتلك التى تحدث عنها شعراء مدرسة الاسكندرية وشعراء اللاتين ، يلجأ اليها المرء كلما أثقلته أعباء المدينة ، وأرهقته المعيشة فى المدن الكبيرة ٠

ولكن من الخطأ أن نتخذ من هذه العيوب مقياسا ندين به العصر كله ، ونرفضه جملة ، رغم أن فيه شعراء المجيدين ، بل ان فيه — لهؤلاء الذين ذكرناهم — قصائد جيدة ٠

ولو لم يكن لذلك العصر من فضل الا أنه امتاز بتنوع الأصوات ، والقرب من الجمهور القارىء ، وترديد مشاعر الرجل العادى ، لكفاه ٠

فكيف به وقد خلف لنا — فى الشعر الغنائى خصوصا — أعمالا تذكر فتشكر ، لما تزيده من ثروة النفس والخيال ٠

وحسب هذا العصر أنه اشتمل على رجال من طبقة روبرت بردجز وو٠هـ٠ ديفين وولتر دى لامير وجميز ستفنز وروبرت بروك كى يستحق أن يعد جزءاً أصيلا من تاريخ الشعر الانجليزى ، لا فترة معيبة تذكر بالثلب ، ولايحسب لها الا أنها مهدت لما جاء بعدها ٠

فروبرت بريدجز (٢٣ أكتوبر ١٨٤٤ ـ ٢١ ابريل ١٩٣٠) أمير شعراء ذلك العصر ، وصاحب قصيدة «عهد الجمال» (١٩٢٩) التى أعيد طبعها أربع عشرة مرة فى العام الأول لصدورها ، شاعر صناع ، يلوح للوهلة الأولى باردا ومحايدا ، وانما هى براعة الفنان الذى يتنحى عن المسرح، تاركا الصورة تتكلم :

بهجتى وبهجتك

بهجتى وبهجتك
يسيران كملكين أبيضين
فى حدائق الليل

***

رغبتى ورغبتك
يتحدان فى لسان من نار
قافزا حيا ، عالى الضحكات

***

خلال الصراع الأبدى
للغز الحياة
ان الحب ، الذى بدأ العالم منه ،
يمتلك سر الشمس
وفي مقدور الحب ، والحب وحده ، أن يخبرنا
أين نثرت ملايين النجوم
ولم تعرف كل ذرة ذرتها الخاصة بها
وكيف أن الحياة رغم الويل والموت
طروب ، وكيف أن الانفاس رقيقة

***

هذا قد علمنا اياه ، وهذا قد عرفناه
سعيدين بعلمه الحق
يدا فى يد اذ توقفنا
تحت ظلال الغابة
قلبا لقلب اذ رقدنا
فى فجر اليوم ٠

وولیم هنری دیفیز (۳ يوليو ١٨٧١ ـ ٢٦ سبتمبر ١٩٤٠) الذى كان جوالا ، يتسلق القطارات لأنه لا يجد أجر ركوبها ، وتنكسر رجله في احدى هـذه المغامرات ، عاشق للطبيعة ، بعيدا عن الحذلقة ، تمتاز رؤياه بالنضـارة

ان أقواس قزح لجميلة

وهاهو ذا الطائر الذى يهز جناحا بليلا مبتردا

يسقسق فى طرب
وان قصرت منه الانفاس عن الغناء
لاغرو ففى الهواء
قوسا قزح هنالك

***

انظر ها قد ظهر قوس قزح الآن ٠
تأمل كيف يمد قوس قزح هذا الجميل
ذراعا محلاة بالجواهر نحو
عالمنا غب المطر
وكم أتمنى عودة المطر
المرة تلو المرة ٠

***

ويكتب فى قصيدة « لحظات القوة »

انى أستمع أحيانا الى غناء الحسناوات
انى أدخن أحيانا وأشارك الرجال شرابهم
انى ألعب الورق أحيانا
فلتصفنى بالضعف اذن ٠

***

ان أقوى لحظات حياتى
هى التى أفكر فيها فى الفقراء
عند ذاك ، كمثل الجدول الذى ترويه الأمطار ،
يتزايد عطفى عليهم أكثر فأكثر

أن الزهرة التى تعشق الدفء والنور
لتستحم ، كل صباح ، فى الطل .
وان قلبى لتمر به لحظات ، تبلله فيها الدموع
وحين تنضب من مقلتى الدموع ، أغدو ضعيفا .

***

وهى قصيدة تعبر — عن طريق المفارقة — عن قوة الشاعر الحقة : ألا وهى حنوه على آلام الضعفاء .

وولتر دى لامير (٢٥ أبريل ١٨٧٣ — ٢٢ يونيو ١٩٥٦) الذى ينتمى — من ناحية أمه — الى الشاعر روبرت براوننج ، بارع فى استيحاء دنيا الطفولة وعالم الأحلام ، ينسج حول قصائده شبكة رقيقة من السحر ، ومن وراء تخوم اليقظة والنوم يبتعث أشباح الموت المتوارية بين الظلال :

هاهنا ترقد سيدة هى آية فى الجمال
كانت خفيفة الخطى والروح
وانى لأخال أنها كانت أجمل سيدة
عرفها الاقليم الغربى
بيد أن الجمال يختفى والجمال يزول ،
مهما كان نادرا — نادرا
وعندما أتفتت ، فمن ذا الذى سيتذكر
سيدة الاقليم الغربى هذه ؟

وجميز ستفنز (٢ فبراير ١٨٨٢ ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٠) شاعر أيرلندى ، عانى من الفقر ونقص التعليم ، ولكنه برع فى المزج بين الواقعية والخيال ، والصوفية والحكمة ، يقول فى قصيدته « فى الليل » :

***

ثمة جلبة تتعالى دائما عند هبوط الظلام .
انها جلبة الصمت وجلبة
العمى .

***

ان جلبة الصمت وجلبة العمى
يخيفاننى
انهما يجعلانى فى يبوسة الدوح وتصلبه .

***

انهما يخيفاننى
انهما يجعلاننى فى يبوسة الدوح وتصلبه .
لأن جلبتهما تغدو فى نهاية الأمر أجهر صوتا
من الرعد .

***

ولأن
جلبتهما أجهر صوتا من الرعد
فانهما يخيفان روحى . وانهما يفلقان
قلبى الى شطرين .

والشاعر روبرت بروك (٣ أغسطس ١٨٨٧ ــ ٢٣ ابريل ١٩١٥) الذى كان دارســــا للمسرح الاليزابيثى واليعقوبى ، قــــد جسد فى سلسلة سوناتاته عن الحرب العــــالمية الاولى روح الوطنية ، وغدا ــ فى نظر الآلاف ــ نمـــوذج الشاعر الشاب الذى استشهد فى « حرب تنهى الحروب » ، وان لم يصدق الظن ..

يقول فى قصيدة « أغنية » وهى من شعره العاطفى :

كذلك كان شأن الحب معنا :
لقد ولد فى صباح يوم من أيام الشتاء
وكان حانى اليدين
كان يجرى على مانشتهى
اعترض الحب طريقنا الهادىء
فأوقد الفخار فينا ومات فينا
لقد حدث ذلك كله فى يوم من أيام الشتاء
وليس لى بعد من كلام .

ويقول فى قصيدة « النداء » :

من أعماق خواء النوم
وأحلام الخلود المتباطئة كان الرعد يجلجل على صفحة الماء
انما أنا آت لأنك دعوتنى
لقد حطمت قضبان الليل البدائية
وتحديت اللعنة القديمة ذات الهوة

بعينين حكيمتين وان تكونا رحيمتين
وشفتين ناعمتين وان تكونا مخلصتين
واني لأجسر على أن أقول : ان فيها الكفاية ٠

وفي قصيدة أخرى ، تتخذ شكل الرباعيات ، يقول :

ان الرياح لتأتي في رقة دون تمهيد
ويحل الربيع هنا مرة أخرى
وتبادر العضاة الى التفتح ببراعم خضراء
أما قلبي فببراعم الألم ٠

***

قد رقد قلبي طوال الشتاء في هذا الخدر
ولبثت الارض على حالها من الموات
حتى لقد خلت أن الربيع لن يأتي أبدا
أو ان قلبي سيستيقظ ثانية ٠

***

لكن الشتاء مضى والأرض استيقظت
وهاهي ذي صغار الطير تتصايح مرة أخرى
ان حافة العضاة لتخرج براعمها
وان قلبي ليخرج آلامه ٠

والى جانب نغمة البطولة في شعر بروك ، ظهر لون من شعر الحرب قوامه الشفقة ، انجابت الأوهام عن أعين قائليه ، فلم يروا فيها نبلا ولا سموا ، وانما ذاقوا ــ بين

وحل الخنادق وجليـدها ـ مرارة الصراع وأساه . ومن هؤلاء : سيجفريد ساسون (ولد ١٨٨٦) وولفرد أوين (١٨٩٣ ـ ١٩١٨) وروبرت جريفز (ولد ١٨٩٥) ..

كذلك أحدثت الحرب هزة فى القيم ، ودعت الناس الى اعادة النظر فى المبادىء التى عاشـوا عليها ، وارتد الكثيرون بأذهانهم الى ما سـبق أن أعلنه شنـبنجلر من اضمحلال الحضارة الغربية واشراف شمسها على الأفول..

وكان الصراع بين العـلم والدين ـ منذ خرج دارون بنظريته فى النشوء والارتقاء ، وازدهرت المادية الميكانيكية فى أواخر القرن الماضى ـ قد بدأ يسيطر على الأذهان منذ العصر الفيكتورى ، وانعكس على شـعر تنيسون وماثيو أرنولد وتوماس هاردى ، فعانت الأذهان من التمزق بين المعتقدات الموروثة ونتائج العلم الجديد ..

وظهر العالم النفسانى سيجموند فرويد فى فينا ، مؤكدا الدور الخطير الذى تلعبه الغرائز الجنسية فى حياة الفرد والجماعة ، ونازعا ـ فى الفترة الاخيرة من حياته ـ الى اتجاه تشاءومى متزايد ، ينادى بغلبة غرائز الموت على غرائز الحياة ، ونزعة كل كائن حى الى الارتداد الى حالته الأصلية من السكون فى ظلمات الرحم .

كذلك ظهرت نظرية أينشتاين فى النسبية الخاصة والنسبية العامة ، مؤكدة الطابع النسبى لكثير من المطلقات القديمة ، فكان لذلك صداه فى تعديل النظرة الى العالم .

وســـــاهمت أبحـــاث علماء الأنثروبولوجيا مثـــل السيرجيمزفريزر (١٨٥٤ _ ١٩٤١) فى تأكيد الصلة بين الانسان المتمدين والرجل البدائى ، واماطة اللثـــام عن قشرة الحضارة ، واقرار النظرة الى الانسان على انه كائن بيولوجي فى المحل الأول .

واصطلحت هذه العوامل كلها على احداث نقلة فى الحساسية ، وتغير عميق المدى فى نظرة الانسان الى ذاته ممـــا نرى أثره فى الشعر الحـديث ، خافتا لدى رواده الأوائل ؛ ثم جهيرا لدى أقطاب الحداثة ..



رواد الحداثة

في النصف الثانى من القرن الماضى ، وعلى مشارف قرننا العشرين ، يتخايل شبح شاعر قس ، لم يكد ينشر شيئا من الشعر أثناء حياته ، وان كانت قصائده متداولة بين خاصة أصدقائه ، ولكنه صار الآن يعد من رواد الحداثة فى الشعر الحديث : ذلك هو جيرارد مانلى هوبكنز (٢٨ يوليو ١٨٤٤ ـ ٨ يونيو ١٨٨٩) ٠

ولد هوبكنز فى ستراتفورد ، اسـكس ، وهى الآن جزء من لندن ، وكان ابنا لقنصل بريطانيا فى جزر هاواى٠ تلقى دراسته فى مدرسة أوكسفورد هايجيت ، حيث كان من بين أساتذته ر٠و٠ ديكسون ، الذى راسله بعدئذ فى موضوع العروض ، ونشرت رسائلهما فى ١٩٣٥ ٠ ومن تلك المدرسة مضى الى أوكسفورد حيث التلقى بروبرت

بردجز • وأثناء دراسته الجامعية تحول الى المذهب الرومى الكاثوليكى ، وبعد أن اشتغل بالتدريس ، بعض الوقت، فى احدى مدارس برمنجهام قرر أن يغدو قسا يسوعيا ، وتمت رسامته فى ١٨٧٧ ، فاشتغل فى لندن وأكسفورد وليفربول وجلاسجو ، ثم اشتغل بالتدريس فى كليـــة ستونى بدبلن ، ولكن طبيعته المرهفة الحس كانت تجد فى هذه الأعمال عنتا • كتب أولى قصائده المميزة وعنوانها « حطام الدوتشلاند » (اسم سفينة غارقة) فى ١٨٧٥ ثم قصيدته المعروفة « الصقر » (وهى موجهة الى السيد المسيح) • وبعد ثلاثين عاما من موته نشر بردجز قصائده فى ديوان نحيل ، عام ١٩١٨ ، فكان تاريخا ملائما لأنها كانت أحدث من أن تنشر قبل ذلك • يتسم شعره بالغرابة والغموض ، وتقوم ايقاعاته على النبر لا على أطوال المقاطع، وقد استخدم هذا التكنيك ـ وان لم يكن أول من ابتكره ـ فى احـــــداث تأثيرات جديدة بارعة • ونشرت مذكراته فى ١٩٣٧ •••

يتميز شعر هوبكنز بحرارة الانفعال والانصـــهار التام بين الحالة النفسية والموســـيقى : فأوزانه متوترة مشدودة تساوق جيشانه النفسى وتمزقه الحـــاد ـ على المستوى الشخصى ـ بين طبيعــــة حارة عنيفة وتوق الى السمو الروحى والتطهر :

عادل أنت ، يا الهى ، ولاريب ، اذا اختصمت
معك • ولكن ما ألتمسه منك ، ياسيدى ، عدل •

لم تزدهر طرق الأشرار ؟ ولماذا يتعين
أن يكون الحبوط خاتمة كل مساعى ؟
لو أنك كنت لى عدوا ، وانما أنت صديقى ،
فانى لأتساءل : كيف كان يسعك أن تفعل بى شرا مما تفعله
اذ تقهرنى وتحبطنى ؟ ايه ، ان سكارى الشهوة وعبيدها
ليزدهرون فى ساعات فراغهم أكثر مما أزدهر أنا الذى أنفق
حياتى ، أى سيدى ، فى خدمة قضيتك . انظر ان الضفاف والآجام ،
وقد اكتست الآن بالأوراق ، بالغة الكثافة ! لقد عاد
نبات السرفيل المزين يطرزها كالمخـــرم ، انظر ،
والرياح المتجددة تهزها ،
ان الطيور تبنى ـ أما أنا فلا أبنى، كلا، انما أكدح،
خصى الزمان ، لا يخرج منى عمل واحد يوقظ ،
أى رب الحياة ، ابعث الى جذورى بالمطر .

انها شكوى بليغة الى الله ، على شكل سوناتة ، تقابل بين خصب الطبيعة ، وبذخها وليلة الروح المظلمة ـ كما يقول المتصوفة ـ وجدبها . فالقصيدة ـ ككل شعر عظيم ـ مشكلة أخلاقية تعالج جـــدال الروح والبدن ،

وتقابل بين توق الهو الى الاشباع والارتواء وتوق الأنا الأعلى الى التسامي والاعلاء ..

وفي نفس عام وفاة هوبكنز ولد شاعر آخر قدر له أن يكون من رواد الحداثة وان لم يتلق بعد من الشهرة ماهو به حقيق . انه ولتر جيمز رد فرن تيرنر (١٣ أكتوبر ١٨٨٩ ـ ١٨ نوفمبر ١٩٤٦) الذى كان شاعرا وروائيا وناقدا موسيقيا ، ولد في ملبورن حيث كان أبوه عازف أرغن كاتدرائية القديس بولس البروتستانتية ، وتلقى دراسته فى الكلية الاسكتلندية هناك . ذهب الى مدرسةماينز بعض الوقت ، ثم سافر الى لندن فى سن السابعة عشرة ، وفيما بعد درس فى ميونيخ وفينا . وأثناء الحرب العالمية الأولى أدى الخدمة العسكرية فى مدفعية الكتيبة الملكية . ثم اشتغل ناقدا موسيقيا لمجلة « **نيوستيتسمان** » وناقدا مسرحيا ل « **لندن ميركورى** » ، ومن ١٩٤٢ عمل محررا أدبيا لمجلة « **سبكتيتور** » . يتسم شعره بالاغراب والثراء والتدفق ، وتشمل دواوينه : « **الصياد** » (١٩١٦) ، « **النار المظلمة** » (١٩١٨) « **باريس وهيلين** » (١٩٢١) « **مناظر ثيسيريا** » (١٩٢٣) « **أيام الشمس السبعة** » (١٩٢٥) « **قصائد جديدة** » (١٩٢٨) « **بحث سايكى** » (١٩٣١) «**جاك وجيل** » (١٩٣٤) « **أغان ورقى** » (١٩٣٦) « **خرافات وأمثولات وحبكات** » (١٩٤٣). وله من الروايات : « **الرجل الذى التهم البوبوماك** » (١٩٢٢) « **الجماليون** » (١٩٢٧) « **دوقة بوبوكاتابتل** »

(١٩٣٩) . وله أيضا عدة كتب عن الموسيقى ...

وربما كانت قصيدته « ترنيمة اليها تلك المجهولة » من خيرما يمثل منهجه :

في غمرة اليــأس من أن أستطيع منافســة الله فى بدائعه ، فكرت فيها

تلك التى رأيتها فى الرابع والعشرين من أغسطس عام ألف وتسعمائة

وأربع وثلاثين .

عند تناول الشاى فى الطابق الخامس من ســوان وادجار

فى ميدان بيكاديللى .

***

جلست فى مواجهتى ومعها امرأة أكبر سنا وأخرى أصغر سنا

وطفل صغير يقارب الخامسة

كان بوسعى أن أدرك أنها أمه

وكانت أيضا تضع فى يدها خاتم زواج وآخر مطعما بالماس

***

كانت تقارب الخامسة والعشرين

رشيقة لطيفة منظمة

لا أثر فيها لتكلف أبناء الضواحى
ولا تصنع ، وانما صوت واضح منخفض ، وأخلاق مهذبة ،
وشعر كثيف غير مصبوغ .

***

كانت تدرك أنها جميلة وأنها فائقة الجاذبية
فقد كان كل خط فى ثوبها ينم عن ذلك
كانت هادئة راسخة العزم تضحك من قلبها
ذات فم واسع بديع الثنايا .

***

أما وقد قلت هذا فانى ادنو من بدء قنوطى
قنوطى من أن أستطيع وصفها على أى نحو
أومن أن أضع أمام عينى الحاضر أو المستقبل
تلك الصورة التى رأيتها
انى لأرى مئات ومئات من النساء
ولكن عينى قلما تتوقفان عند امرأة
مثلما توقفت عينا فينوس عند أدونيس .

***

أى جدوى من أن يكون المرء شاعرا ؟
أو ليس مهزلة أن تدعو الفنان خالقا
وهو لا يستطيع أن يخلق شيئا ولا حتى أن يعيد تقديم ما رأته عيناه ؟

***

لم يصدر عنها قط ما يوحى بأنها ترانى
ولكنى كنت أعلم وكانت تعلم أنى أعلم –
كانت نظرات أعيننا تمر ولا تلتقى مباشرة قط
كلمعان الفراشات فى فصل الربيع
وهو الذى شبه به كولردج قصـــيدة (**فينوس وادونيس**) لشكسبير .

***

وكمثل فينوس غمرتها بحبى
وكنت ألاعب شعرها وبشرتها الرقيقة وأعضـــاءها الناعمة
وعلى ذراعيها كان ثمة أساور ثقيلة غليظة
كأحبال دم قلبى .

***

هل بوسعى أن أعبر عن هزة عبادتى لها ؟
كان اتحادى معها فى حد ذاته لونا من الفراق !
وكل ما فى الأمر أن جسدينا كانا ينصهران فى لهب من البلور
يشتعلان فى سماء من النيران لا حدود لها
حتى لتذوب كل زرقة السماء اللانهائية
فى كرة واحدة من الكمال الموحد
كفقاعة تعتلى كل محيطات العالم
الى النار التى هى نار النيران ، تتجاوز

حب الله ، حب الله ، حب الله ـ
أواه ! ان جهودى التى تدعو الى الرثاء تنتهى الآن
وانى لأذكر غصنا من المرجان
زهرة من البحر الشفاف
ذات لون وردى رقيق وكأن شعاعا من الشمس هبط
دون طريق ، الى المحيط
وطبع آثار أقدام فينوس
على المكان الذى ازدهر فيه هذا الباروق .

فهنا نجد أنفسنا فى قلب الحداثة : الجرأة على مفاهيم العصر الفيكتورى الأخلاقية ، تطويع النظم ـ والقصيدة من الشعر الحر ـ لرواية قصة ذات بداية ووسط ونهاية ، الصراحة فى معالجة الجنس والدين ، واستخدام تفاصيل من الحياة اليومية ..

على أن الشاعر الذى يعد بحق أكبر الشعراء المحدثين وأعظمهم هو وليم بتلرييتس (١٣ يونيو ١٨٦٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٣٩) الذى أسهمت به ايرلندا مثلما أسهمت من قبل بلورانس ستيرن وجوناثان سويفت وأوليفر جولد سميث وأوسكار وايلد وبرنارد شو، ثم ـ من بعد ـ بجون ملنجتون سنج ، وشون أوكيزى ، وجيمز جويس ، وجورج مور .

ولد ييتس فى ساندى مونت قرب دبلن لأب محام تحول الى الفن . وكانت أسرته ـ وهى بروتستانتية ـ

تعيش فى سليجو ولكن الصبى قضى قسما كبيرا من طفولته فى لندن ، وتعلم فى مدرسه جودولفين بها مرسميث ثم فى مدرسة ارازموس سميث بدبـــلن • ومن ١٨٨٣ الى ١٨٨٦ درس الفن ولكنه كان يفضل القراءة • وفى ١٨٨٧ سافر الى لندن حيث غدا عضوا فى مجموعة الكتاب الذين عرفوا باسم « الانحلاليين » وكانوا يؤمنون بمذهب الفن للفن ، متأثرين بالنقد الجمالى الفرنسى ، ويكتبون فى مجلة « **ذا يلو بوك** » وأسس ييتس ـ بالاشـــــتراك مع ارنست رايس ـ « نادى الناظمين » الذى كان يضم من شعراء تلك الفترة ارنست دوسون وليونيل جونسون • ونشر عدة كتب تسرى فيها الروح الكلتية • ويشـــمل ديوانه « **جولات أويزين** » (١٨٨٩) قصائد مستوحاة من أساطير أيرلندا • أما « **الكونتيسة كاثلين** » (١٨٩٢) و « **أرض ما يشتهيه الفؤاد** » (١٨٩٤) فمسرحيات شعرية• وله مجموعة مقالات عنوانها « **الشفق الكلتى** » (١٨٩٣) وفى ١٨٩٥ أشرف على اصدار منتخبات شعرية عنوانهـــا « **كتاب الشعر** » **الأيرلندى** » •

عاد ييتس الى ايرلندا فى ١٨٩٦ وانغمس فى حركة الأحياء الكلتى الى أن صار قائدها المعترف به • كذلك انغمس فى الفلسفات الالهية والسحر وكانت له قصـــة غرام فاشل مع الممثلة مود جن التى ألهمته بعضا من أفتن قصائده الغنائية • وفى ١٨٩٩ أسس ـ بالاشتراك مع

ليدى جريجورى ـ « المسرح الأدبى الأيرلندى » الذى صار يعرف فيما بعد باسم « مسرح آبى » ، وظل مديرا له الى وقت وفاته • ومن بين المسرحيات التى كتبها له : **«كاثلين نى هوليهان»** (١٩٠٢) « **اناء المرق** » (١٩٠٢) « **الساعة الرملية»** (١٩٠٣) **«عتبة الملك»** (١٩٠٤) **ديردر** (١٩٠٧)• والى جانب هذه الكتابات أثر فى عدة كتاب آخرين ، مثل سنج الذى دفع به الى المسرح • ومع مضى الزمن تخلص شعره من تأثير مدرسة الانحلاليين فى التسعينات ، وأتبع ديوانه المسمى « **الرياح بين أعواد الغاب** » (١٨٩٩) ـ وهو ينم عن تأثير بالرمزيين الفرنسيين ـ بديوانين أنضج هما: « **فى الغابات السبع** » (١٩٠٣) و « **الخوذة الخضراء** » (١٩١٠) • والى هذه الفترة تنتمى عدة كتب نقدية له مثل : « **أفكار عن الخير والشر** » (١٩٠٣) و **«نحت عقيق»** (١٩١٢) •

اقترن ييتس فى ١٩١٧ بجورجى هايدليز ـ وهى وسيطة روحية ـ وعاشا فى برج مطل على الســـــاحل الأيرلندى • كان صدور ديوانه المسمى « **البجعات البرية فى كول** » (١٩١٧) ايذانا بدفقة شعرية جديدة • ومع صدور « **جزيرة بحيرة اينسفرى** » «١٩٢٤) و « **البرج** » (١٩٢٨) « **والسلم المتعرج** » (١٩٢٩) و « **قصائد أخيرة** » (١٩٣٩) ازداد تكنيكه حيوية ، وصار واحدا من قلائل الشعراء الذى يمكن القول بأن أحسن قصـــائدهم هى

آخرها · وفى ١٩٢١ كتب « **أربع مسرحيات للراقصين** » تنم عن تأثره بمسرح النور اليابانى · من ١٩٢٢ الى ١٩٢٨ كان عضوا فى مجلس الشيوخ الأيرلندى ، وفى ١٩٢٣ توجت حياته الأدبية بجائزة نوبل للآداب · وفى ١٩٢٨ نشر ترجمات لمسرحيتى سوفوكليس « **أوديب ملكـــا** » و « **أوديب فى كولوناس** » ، وأشرف ـ باعتباره أعظم شاعر انجليزى فى عصره ـ على اصدار « **كتاب أكسفورد للشعر الحديث** » (١٩٣٦) وان أثار اختياره القائم على الذوق الشخصى عدة اعتراضات · كذلك ظهرت سيرته الذاتية فى ١٩٣٨ وتوفى فى روكبرين بفرنسا · ونشرت مجموعتان من رســـــائله فى عامى ١٩٤٠ و ١٩٥٣ على التوالى ··

ان عظمة ييتس تتمثل فى قدرته الفائقة على التطور، وتغلبه على ذلك الاغراء الذى يتهدد كل شاعر ناجح : اغراء محاكاة ذاته · فمن قصائده الباكرة التى يشيع فيها جو الأساطير الأيرلندية ، وعوالم الأحلام ، أمكنه ان يتطور الى شاعر ناضج ، على وعى بمعطيات عصره ، يكتب بعضا من أعمق الشعر وأجمله ·

ففى قصيدته المسماة « معطف » يقوم ييتس ـ كما يقول الناقد فيفيان دى سولا بينتو فى كتابه « **الأزمة فى الشعر الانجليزى ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠** » ـ نقدا ذاتيا لعمله الباكر واعلانا عن فنه الجديد الذى قرر ألا يتجنب الواقع:

جعلت من أغنيتى معطفا
مغطى بالتغاويف
من الأساطير القديمة
من أسفل الى أعلى
ولكن الحمقى التقطوه
ولبسوه فى أعين العالم
كأنما هم الذين صنعوه
ألا فليأخذوا الأغنية ٠
ثمة جراة أكبر
فى السير عاريا ٠

لقد قرر الشاعر أن يسير عاريا : أى ان يتخلى عن تهويماته السابقة وينغمس فى صراعات عصره ٠ وهكذا رأيناه يكتب قصيدة « طيار أيرلندى يتنبأ بموته » عن استشهاد الرائد روبرت جريجورى فى الحرب العـالمية الأولى ٠ ويصدر قصيدته : « السياسة » بقول توماس مان : « ان مصير الانسان فى عصرنا يتخذ شكلا سياسيا » ويكتب قصيدة « عيد الفصح : ١٩١٦ » عن الاضطرابات السياسية التى نشأت فى وطنه ايرلندا ، بعد أن هزتـه بطولة الثوار ٠ لم يكن متعاطفـا كثـيرا مع مواقفهم السياسية ، ولكنه رأى ــ ببصيرة الشاعر الحق ــ أن المشهد الأيرلندى بأكمله اكتسب طابعـا تراجيديـا باستشهادهم ٠ لم يعد ييتس يكتب عن ايرلندا عصره بنغمة الازدراء أو التهكم ــ مثلما كان يفعل قديما ــ وانما

هو الآن يصور حياتها العادية وقد سرى فيها جـــلال المأساة :

قابلتهم عند نهاية النهار
خارجين ، بوجوه حية ،
من وراء الطاولة أو القمطر ، بين
بيوت رمادية من طراز القرن الثامن عشر ·
مررت بايماءة رأس
أو كلمات مؤدبة لا تعنى شيئا ·
أو تلكأت هنيهة وقلت
كلمات مؤدبة لا تعنى شيئا ·
مفكرا قبل أن أفعل ذلك
فى حكاية ساخرة أو مزحة
تدخل البهجة على أحد الرفاق
حول النار فى النادى
واثقا من أنهم واياى
لا نعدو أن نعيش حيث ترتدى المعاطف المتنافرة الألوان ،
ان كل شيء قد تغير ، تغير كلية
وولد جمال مروع ·

جمال مروع ! ان هذا أصدق وصف لمـــا ولدته بطولة الثوار كما خلدها ييتس فى هذا الشعر السياسى العظيم ··

على أن هذه الأحداث السياسية الملتهبة لم تستطع

ـ وأنى لها ! ـ أن تصرف ييتس عن ينبوع شعره الأصيل: قلبه الذى يتنزى ألما كلما ذكر فشله فى حب مود جن ، تلك الفتاة القوية الشخصية التى اقترنت بغيره ، وكانت تقف فى الشوارع تخطب فى المتظاهرين ، وتحضهم على الثورة . وهكذا امتزج الحب والوطنية فى قلب الشاعر، ومن تفاعلهما خرجت قصيدة « ما من طروادة ثانية » :

لماذا ألومها على أنها ملأت أيامى
بؤسا ، أو أنها علمت ، حديثا ،
جهلة الرجال سبل العنف البالغ
أو دفعت بصغير الشوارع الى كبيرها
لو كان لهم من الشجاعة ما يعادل ما لهم من الرغبة ؟
أى شىء كان بوسعه ان يسكنها وقد أوتيت عقلا
جعله النبل بسيطا كالنار
وأوتيت جمال القوس المشدود ، انها من طراز
لا يعهد فى مثل هذا العصر
فهى شامخة متوحدة بالغة الصرامة
له ، وما كان بوسعها ان تفعل ، وهى على ما هى عليه ؟
أكان ثمة طروادة أخرى كى تحرق من أجلها ؟

وهكذا تمتزج مود جن فى وعى الشاعر بهيلين ، ابنة زيوس من ليدا ، وأجمل نساء العالم القديم ، وهى التى قامت من أجلها حرب طروادة ..

وفى قصيدته « بين أطفال المدرسة » ـ التى تعد

من أجمل شعره المتأخر ـ نجده يبتعث ذكريات حبه القديم لمود جن ، بعد أن تقدم فى السن ، وذلك اذ يتمشى فى أحد الفصول الدراسية ، فيتذكر محبوبته فى طفولتها:

أتمشى عبر حجرة الدرس الطويلة ، وأنا أوجه الأسئلة
وترد على راهبة عجوز رحيمة فى غطاء أبيض
يتعلم الأطفال فك الخط والغناء
ودراسة كتب القراءة والتواريخ
والقصص والحياكة ، والترتيب فى كل شيء
على أحسن الأنحاء الحديثة ـ وأعين الأطفال
تحدق ، فى تعجب لحظى ، فى
رجل عام مبتسم فى الستين .

لقد أصبح ييتس شخصية عامة تلعب دورا اجتماعيا، ولكنه فى أعماقه مازال شاب القلب جامح الخيال ، يبحث فى وجوه الصغار عن ذلك الوجه المستكن فى قرارة قلبه، يورى فيه شرارات الحنين :

واذ أفكر فى تلك النوبة من الحزن أو الغضب العنيف
أنظر الى هذه الطفلة أو تلك الطفلة هناك
واتساءل عما اذا كانت قد لاحت كذلك حين كانت فى مثل سنهما

ذلك أنه حتى بنات البجعة يستطعن أن يضربن
بسهم فى ميراث كل سباح ـ
وما اذا كان لها ذلك اللون على الوجنة والشعر

عند ذلك يجمح بى القلب بريئا طليقا
انها تقوم أمامى طفلة حية ٠

وفى ديوان « البرج » يكتب بمرارة كاويـــــة عن الشيخوخة :

ترى ما عسانى فاعلا بهذا السخف ــ
ايه أيها القلب ، أيها القلب المضطرب ــ هذه
الشيخوخة المسخ المعقدة التى شدت الى
كأنما شدت الى ذيل كلب ؟

ولا يلبث الشاعر أن يشارف الختام ، فيكتب ــ فى رواقية ــ هذه الأبيات الثلاثة لتكون شاهدا على قبره :

ألق عينا باردة
على الحياة ، على الموت ٠
أيها الفارس مر ٠

***

والى جانب ييتس نجد شاعرا أمريكا كبيرا من رواد الحداثة هو ازرا لوميس باوند (ولد ٣٠ أكتوبر ١٨٨٥) الذى عرف ييتس بمسرح النو اليابانى ، كما كان أستاذا ل ت٠ س٠ اليوت ٠٠

وترجع أهميـــة باوند الى أنه خلق مناخا فنيا ازدهر فيه الشعر الحديث على كلا جانبى الأطلنطى ، واتصلت أواصره بتراث عصر النهضة ، والشعر الرمزى الفرنسى والحركة الجمالية التى ظهرت فى نهـــاية القرن التاسع

عشر . حقق باوند ذلك كله بشعره ونثره وتأثيره على المحيطين به ..

وقد ولد باوند ـ الذى ينتمى بصلة قرابة بعيدة ، من ناحية أمه ، الى الشاعر لونجفلو ـ فى هايلى بايداهو وتلقى دراسته فى جامعة بنسلفانيا وكلية هاملتون . وفى ١٩٠٧ سافر الى أوربا ، ثم استقر فى لندن ، حيث عاش من ١٩٠٨ الى ١٩٢٠ ، وتصادق مع ت. س. اليوت وجيمز جويس ووندام لويس واقترن بدوروثى شكسبير . وأهم دواوينه فى هذه الفترة هى : « **أقنعة** » (١٩٠٩) ـ وقد صدرت منها طبعة مزيدة بعد ذلك ـ و « **ردود** » (١٩١٢) ويمكن اعتبارهما بداية « مذهب الصورة » الذى يحتفل بالصورة الشعرية ودقتها . كان تجريبى النزعة فى نظمه، وقد ارتبط بحركة فنية تعرف باسم « الدوامة » لعنفها وصخبها ، ومن ١٩١٧ الى ١٩١٩ رأس تحرير مجـــلة « **ليتل رفيو** » . نشر ديوانه : « **لماذا أحب الفقراء** » فى ١٩١٩ ، ومن ١٩٢٤ الى ١٩٤٥ عاش فى رابالو على شاطىء الريفيرا الايطالى ، مشتغلا بنظم سلسلة من «**الأناشيد**» ، نشر أكثر من سبعين منها فى تلك الفترة ، وكان لها تأثير كبير على غيره من الكتاب . وفى ١٩٢٨ تلقى جائزة الـ « **دايال** » عن خدماته البارزة للأدب الأمريـــكى ، ولكن أحاديثه الاذاعية من راديو روما الفاشية ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، أساءت الى سمعته . ونقل الى الولايات

المتحدة عام ١٩٤٦ حيث حوكم بتهمة الخيانة ، ثم أفرج عنه على أساس اختلال القوى العقلية ، وأودع مستشفى للأمراض العقلية في واشنطون ، ومع ذلك فقد نال في ١٩٤٩ جائزة بولينين عن قصائده المسماة « **أناشيد بيزا** » التى كتبها حين كان رهين أحد سجون معسكرات الجيش الأمريكى فى ايطاليا • ترجم عن الفرنسية والايطالية والصينية ، ونشر عدة كتب فى النقد ، من أهمها « **روح الرومانس** » (١٩١٠) « **مقالات مؤدبة** » (١٩٣٧) **و «المقالات الأدبية»** (١٩٤٥) •

صدر أول ديوان لباوند وعنوانه « **حينما يخبو الضوء** » فى مدينة البندقية عام ١٩٠٨ ، ولم يطبع منه صاحبه سوى مائة نسخة • وفى العام التالى صدر له ديوان « **أقنعة** » عن دار « الكين ماثيوز » للنشر • دل هذان الديوانان على نزعة جمالية صعبة الارضاء ، كما نرى فى قصيدة « المذبح » من هذا الديوان الأخير :

فلنبن هنا صداقة جميلة ،
ان اللهب والخريف ووردة الحب الخضراء
قد خاضت صراعها هنا • انه لمكان عجيب
وحيثما كانت هذه الأشياء • يكون المكان صالحا ، والأرض مقدسة •

وفى ديوانه المسمى « **ردود** » (١٩١٢) يعمد الى التوحيد بين حب الشاعر للمرأة وحبه للطبيعة :

لقد دخلت الشجرة يدى
وارتقت العصارة ذراعى
ونمت الشجرة فى صدرى
وتحت
تنمو الأغصان منى كالأذرع
شجرة أنت
طحلب أنت
أنت أزهار بنفسج تمر عليها الرياح
طفل بالغ الارتفاع أنت
وكل هذا انما يبدو حماقة فى نظر العالم
« فتــــاة »

أما فى ديوانه التالى Lastra (١٩١٦) ، وقد صدر عن دار « الكين ماثيوز » فان نزعته الجمالية تمتزج بميل الى التهكم ، واقامة القصيدة على عنصر المفارقة ، وتأمل متناقضات الوضع الانسانى ، كما نرى فى قصـــــيدته المسماة « تحية » :

أيا جيل المختالين كل الاختيال
والمتعبين كل التعب
لقد أبصرت صيادى السمك يخرجون فى رحلاتهم فى ضوء الشمس
ولقد أبصرتهم مع عائلاتهم الفوضوية
لقد أبصرت ابتساماتهم ملؤها الأسنان

وسمعت ضحكهم السمج
وانى لأسعد منكم
كما انهم كانوا أسعد منى
والأسماك تسبح فى البحيرة
ولا تملك حتى الثياب .

وفى الديوان مقطوعات وصفية خالصة :

ان هذه السيدة فى ثوب الحمام الذى تدعوه بنوارا
هى فى الوقت الحاضر عشيقة صديقى
وان قدمى كلبها الصغيرين بكل بياضهما ورقتهما
ليسا أشد رقة منها
وما كان جوتييه نفسه ليزدرى تناقض البياض بينهما
بينما تجلس فى مقعدها الكبير
بين الشمعتين المتراخيتين .

وأخرى تهدف الى تقديم صور واضحة القطع محددة:

ابريل

قد زارتنى أرواح ثلاث
وانتحت بى جانبا
حيث أغصان الزيتون
ترقد جرداء على الأرض :
مذبحة شاحبة اللون تحت الضباب البراق .

فتـــاة الدكـــان

لمدة لحظة اتكأت على
كعصفور كادت الريح تدفع به الى جدار
وانهم يتحدثون عن نساء سوينبرن
والراعية التى تلتقى بجويدو
وعاهرات بودلير ٠

وفى هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة نجد مثالا للاشارات الأدبية التى أولع باوند باستخدامها وتابعه فيها اليوت٠ كذلك نجده يشير الى ثورته على الشاعر الأمريكى ولت ويتمان (١٨١٩ ـ ١٨٩٢) فى مطلع شبابه ، ثم رغبته فى التكفير عما بدر منه فى حقه ، وذلك فى قصـــيدته المسماة « اتفاقية » :

اتفـــاقية

انى لأعقد اتفاقية معك ياولت ويتمان
لقد أبغضتك بما فيه الكفاية

وانى لأتقدم اليك كطفل شب عن الطوق
وكان له أب صلب الدماغ ٠

لقد تقدمت الآن فى الســـن بما ينبغى معـــه أن أكون
الصداقات
ولقد كنت أنت الذى شق الغابة الجديدة

أما الآن فقد آن أوان نحتها ·
اننا ننتمي الى عصارة واحدة وجذر واحد ـ
فيدع الاتصالات تجرى بيننا ·

وفى الديوان قصائد أخرى هى بمثابة لقطـــات سيكولوجية دقيقة ، اعتقلتها حساسية الشاعر المرهفة ، فى لحظات استنارة ، وجسدتها فى كلمات :

« ايون ، ميتة هى السنة الطويلة »

فارغة هى الطرق
فارغة هى طرق هذه الأرض
والأزهـــار
تميل برءوس ثقيلة
انها تميل عبثا
فارغة هى طرق هذه الأرض
حيث كانت ايون
تسير يوما ، ولكنها الآن لا تسير
وانما تلوح كشخص مضى لتوه ·

ان شعر باوند يحقق درجة عالية من الجمال والحـذق الموسيقى وبراعة التكنيك · فهذه القصائد التى كتبهـــا أشبه بفسيفساء من الكلمات لا نكاد نجد لها ضريبا من حيث الأناقة والرقة · وقد كان لها تأثير كبير على غيره من الشعراء الأمريكيين والأوروبيين ··

وأهم هؤلاء الشعراء المتأثرين بباوند توماس ستيرنز اليوت (٢٦ سبتمبر ١٨٨٨ ـ ٥ يناير ١٩٦٥) الذى فاقت شهرته شهرة أستاذه وتمكن ـ بجدارة ـ من ان يتربع على قمة الشـــعر فى عصرنا مع ييتس وفاليرى وغيرهما ..

ولد اليوت فى سان لويس بميسورى لأسرة مبرزة من بوســـطن ، كان من بين أفرادها مؤسس جامعـــة واشنطون . وتلقى دراسته فى أكاديمية سميث وجامعة هارفارد ، حيث كان رئيســـا لتحرير مجلة « **هارفارد أدفوكيت** » من ١٩٠٩ الى ١٩١٠ . ثم مضى الى جامعـــة السوربون ، والى كلية ميرتون بجامعة أوكســـفورد فى ١٩١٤ . اشتغل لفترة من الزمن مدرسا فى مدرســـة هايجيت ثم اشتغل فى بنك لويد . فى ١٩١٥ ظهرت أول قصيدة مهمة له (أغنية حب ج. الفرد بروفروك) فى مجلة (**شعر**) وفى نفس العام تزوج من فيفين هى وود . فى ١٩١٧ نشر ديوان (**بروفروك وملاحظـــات أخرى**) ودراسة عن ازرا باوند . من ١٩١٧ الى ١٩١٨ اشتغل مساعدا لرئيس تحرير مجلة (**ذى ايجوست**) : الناطقة بلسان مذهب الصورة . وعندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى حاول أن يدخل البحرية، ولكنه لم يقبل بها لأسباب صحية . وتشمل سائر كتبه فى هذه الفترة الباكرة من حياته (**قصـــائد**) ١٩١٩ ،

و (**الغابة المقدسة**) ١٩٢٢ وهو يحوى مجموعة من المقالات النقدية ·

وفى ١٩٢٢ ظفرت قصيدته (الأرض الخراب) بجائزة (**ذا دايال**) التى يبلغ مقدارها ألفى دولار ، وصار مشهورا · وهذه القصيدة الزاخرة بالاشارات والغامضة فى كثير من المواضع ، ترمز الى اشمئزاز جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى وانقشاع الأوهام عن عينيه · وبينما رأى فيها بعض النقاد انعكاسا لفوضى العصر ، وصفها نقاد آخرون بأنها غير مفهومة ، ووصفها أحدهم بأنها « أكبر ألعوبة فى هذا القرن » غير أن تأثيرها فى الأدب الحديث كان عظيما ، وترجمت الى الفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها من اللغات · وفى نفس العام أنشأ اليوت مجلة أسماها (**ذاكرايتريون**) استمرت فى الصدور لمدة سبعة عشر عاما ، وفى ١٩٢٥ ظهرت له مجموعة من القصائد (**قصائد : ١٩٠٩ ــ ١٩٢٥**) ، وفى ١٩٣٢ ظهر له كتاب (**مقالات مختارة : ١٩١٧ ــ ١٩٣٢**) وفى ١٩٢٦ كان قد تجنس بالجنسية البريطانية ، وقام بأول زيارة له الى أمريكا بعد غيبة ثمانية عشر عاما ، واشتغل أستاذا للشعر بجامعة هارفارد ، وتشمل قصائده التى تلت : (أربعاء الرماد) ١٩٣٠ (أربع رباعيات) ١٩٤٣ وديوانا للأطفال عنوانه (**كتاب بوسوم العجوز عن القطط العملية**) ١٩٣٩ ·

ظهرت مسرحية اليوت الأولى (**سويني في نزاله**) في ١٩٣٢ ، ووصفها بأنها « ميلودراما أريستوفانية » ، ثم أتبعها بمسرحية (**الصخرة**) ١٩٣٤ ، ثم بلغ بالمسرحية الشعرية مستوى عاليا في (**جريمة قتل في الكاتدرائية**) ١٩٣٥ ، و (**اجتماع شمل الأسرة**) ١٩٣٩ ٠ وله ملهاة عنوانها (**حفل الكوكتيل**) ١٩٤٩ ، وفي ١٩٤٨ نال جائزة نوبل للأدب ، ونال في نفس العام وســـام الجـــدارة البريطاني ٠ تشمل أعماله النقدية مقالات عن درايدن ، وميلتون ، وأندرو مارفل ، ودانتي ، وله كتاب منتخبات شعرية عنوانه (**مختارات من شعر كبلنج**) ١٩٤١ وقد قدم له بمقدمة لامعة ، ويجســـــد كتابه (**فكرة مجتمع مسيحي**) ١٩٤٠ آراءه الدينية ٠ وخلاصة موقفه كما أعلنه في أحد كتبه هو أنه « أنجلو كاثوليكي في الدين، كلاسيكي في الأدب ، ملكي في السياسة » ٠

بدأ اليوت حياته الأدبية ـ خلافا للظن الشائع ـ تلميذا مخلصا للمدرسة الرومانتيكية التي ينتمي اليهـــا مزاجيا ـ رغم كل محاولاته الواعية للثورة عليها ـ وورث عنها أوضاع الكآبة والحنـــين وتأمل الهوة بين الواقع والمثال :

قد استدارت ماضية ولكن بجو الخريف
وقو استأثرت بخيالي أياما عديدة
ان شعرها لعلى ذراعيها وان ذراعيها لملؤها الأزهار

وانى لأتساءل كيف ينبغى أن يكون اجتماع الاثنين !
قد كنت بحيث أفقد ايماءة ووقفة
وان هذه التأملات مازالت تحير فى بعض الأحيان
منتصف الليل المضطرب وراحة القيلولة ٠

« الفتاة التى تبكى »

على أن هذه النبرة الرومانتيكية قد امتزجت ، لحسن الحظ ، بمؤثرين آخرين اهتدى اليهما اليوت منذ فترة باكرة من حياته : هما الشعراء والكتاب المسرحيون الانجليز فى العصر الاليزابيثى واليعقوبى (شكسبير ، مارلو ، بن جونسون ، توماس ميدلتون ، توماس هيوود، سيريل تورنير ، جون فورد ، فيليب ماسنجر ، جون مارستون ، الخ ٠٠) والشعراء الرمزيون الفرنسيون فى القرن التاسع عشر (بودلير ، جول لافورج ، مالارميه، رامبو ، فرلين ، الخ) كذلك تأثر اليوت بدانتى ، والشعراء الميتافيزيقيين الانجليز ، وخاصة جون دون ، واستوعب أعمال كبار شعراء العصر الفيكتورى : سوينبرن ، وتنسون، وروبرت براونتج ، كما تأثر فى نثره ، ان موافقة أو مخالفة ، بعدد من الفلاسفة والكتاب أهمهم : ف٠ ه٠ برادلى ، وماثيو ارنولد ، و ت ٠ ا ٠ هيو ، وبرجسون ، وهنرى جيمز، وجيمز جورج فريزر ، وازرا باوند ، وريمى دى جورمون ٠٠٠

ونحن نجد هذه الجدائل المتشعبة فى عمل اليوت

منذ بدايته • ففى ديوان « **بروفروك وملاحظات أخرى** » (١٩١٧) يستخدم القناع فى رسم شخصـيات درامية تكون معادلا موضوعيا لانفعالاته وأفكاره الخاصة ، دون تدخل من جانبه • ان بروفروك مثلا بمثابة هملت حديث متردد ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى أمر الحب • والمتكلم فى قصيدة « صورة سيدة » شاب تحاول سيدة صالونات عصرية ، أشرف شبابها على الأفول ، استمالته ولكنـه ـ وهذه حيلة تعلمهـا اليوت من مونولوجـات براونتج الدرامية ـ قد انقسم الى شخصين : أحـدهما يخوض التجربة والآخر يراقبها بمزيج من التعـاطف والحيرة والتهكم • وقصائد « مقدمات » و « رابسوديا فى ليـلة عاصفة » (وكلا العنوانين مستوحى من الموسيقى) تطوران « شعر المدينة » الذى كتبه بودلير ، اذ تصـوران حيرة الانسان فى المدينة الكبيرة الحديثة ، بكل صخبها وقذارتها ومآسيها اليومية الصغيرة ••

وفى ديوان « **قصائد** » (١٩١٩) ثم ديوان « **الآن اضرع اليك** » (١٩٢٠) بدأ اليوت ينزع نزعة كلاسيكية واضحة ، فهو الآن يخفف من عرامة انفعالاته ، ويفرض القافية على ختام أبياته ، ويصطنع شكل الرباعية الذى استخدمه تيوفيل جوتييه ، ولكن هذه القيود الشـكلية لا تلبث أن تشف عن نفس موقفه الرومانتيكى السابق •

ففى قصيدة « جيرونتيون » يعود الى اسـتخدام

القناع ، وهو هنا « رجل عجوز فى شهر جاف » يعانى من الجدب ، ويتأمل فى مغزى التـــاريخ ، وتمتزج فى القصيدة الرموز الدينية باشارات جنسية ..

وفى قصيدة « بربانك بنسخة من دليل بديكر ، بليشتين بسيجار » نرى سقوط بربانك فى فندق صغير، بمدينة البندقية ، مع مقارنات بين ماضيها الفنى العريق وحاضرها الدميم . وفى « سوينى منتصبا » و « سوينى بين العنادل » يبرز سوينى باعتباره رمزا للرجل الحديث: انه شهوانى بليد ، تعوزه رهافة الحس ، وسوف يعاود الظهور فى قصيدة « **الأرض الخراب** » ومسرحية «**سوينى فى نزاله**» الناقصة ...

وقصيدة «الأرض الخراب» (١٩٢٢) هى ـ بلاريب ـ أعظم أعمال اليوت ، وأشهر قصيدة فى القرن العشرين. أن الأرض الخراب هى العالم الحديث بعـد الحرب العالمية الأولى ، والقصيدة مكونة من خمس حركات هى « دفن الموتى » ، « مباراة شطرنج » ، « عظة النار » ، « الموت غرقا » ، « ما قاله الرعد » . ويتبع اليوت فيها أسلوب المونتاج السينمائى والقصيد السيمفونى معـا . فهو من ناحية ينتقل بنا فى الزمان والمكان ، ويستخدم أسلوب الارتداد الى الوراء ؛ بهدف المقارنة بين الماضى والحاضر ، كما يستخدم عدة خيوط ، من بينها ألحان دالة ، لا يفتأ يعود اليها مع اجراء تنويعات عليها .

ففى « دفن الموتى » نجد ـ كما هو الشأن فى باليه « **طقوس الربيع** » لسترافنسكى ـ اشـــارات الى طقوس الزرع فى العالم القديم ، وفكرة تولد النبات من دفن دمية تمثل اله الزرع الميت ، مع اشارات الى العهد القديم ، وباليه « **تريستان وايزولدا** » لفاجنر ، تصور عذاب الحب المحبط ، ثم ينقلنا الشاعر الى مشهد جمع من الناس على جسر لندن ، مما يذكرنا بجحيم دانتى ..

وفى « مباراة شطرنج » نجد وصفا مفصلا لسيدة عصرية تجلس الى مائدة زينتها ، مثل كليوباترا ، ولكنها مريضة بالأعصاب . ويقابل هذا المشهد حوار بين امرأتين من الطبقة العاملة فى أحد المشارب ، يقطع حديثهما نداء النادل الذى يريد الاغلاق « أسرعوا من فضلكم فقد آن الأوان » ، ومن هذا الحوار نرى أن الفروق الظاهرية بين ثراء الأرستقراطية وفقر البروليتاريا تخفى وراءها نفس الخواء والمرض الداخلى والافتقار الى المعنى ..

وفى « عظة النار » يبتعث الشاعر جـــلال العصر الاليزابيثى كى يكشف ، فى نهاية المطاف ، عن الفساد الذى كان ينخر فى بنيانه ، من وراء ديكوراته اللامعة . ونرى مشهد حب ، لا عاطفة فيه ، بين كاتبـــة على الآلة الكاتبة وعشيقها . وتتحدث ثلاث فتيات عن مشـــاهد اغتصابهن ، وكلها مثير للشفقة والاشمئزاز معا . ثم تنتهى الحركة بكلمات القديس أوغسطين وهو يبحث عن التطهر .

ثم مضيت الى قرطاجة
وأنا أحترق أحترق أحترق
ايه يا الهى انك لتنتشلنى من هذا
ايه يا الهى انك لتنتشل
أحترق ·

وفى « الموت غرقا » نرى غرق تاجر فينيقى شاب ، مما يؤكد الطابع المزدوج للماء : فهو من ناحية رمز للرى الذى يستطيع انقاذ الأرض الخراب ، وهو ــ من ناحية أخرى ــ رمز الهلاك :

فليأس الفينيقى الذى انصرم على موته أسبوعان
أنسى صيحة النورس واصطخاب البحر العميق
والخسارة والربح
لقد التقط تيار يجرى تحت الماء
عظامه فى همسات · واذ نهض ثم سقط
مرت به أطوار عمره وشبابه
وهو يدخل الدوامة ·

وفى الحركة الأخيرة ، « ما قاله الرعد » نرى صلب المسيح ، ثم رحلة مرهقة عبر الجبال الى الهيكل الذى توجد فيه رموز الخلاص ، وتنتهى القصيدة ــ كما بدأت ــ دون وصول الى نتيجة :
انى جلست على الشاطىء
اصطاد وقد ترامى السهل القاحل من ورائى

أتراني مستطيعا ان أنظم أراضي على الأقل ؟

وفي قصيدة « الرجال الجوف » (١٩٢٥) يزداد اليوت بنا ايغالا في الجحيم . فالرجال الجوف عنده هم رجال العصر الحديث الذين فقدوا كل ايمـــان بالقيم الروحية . وأبيات القصيدة شذرية ، مقطعة ، متناثرة ، تعبر عن فقدان الاتجاه :

بين الرغبة
والتشنج
بين القوة
والوجود
والعرض
يسقط الظل
لأن لك الـ
لأن لك
ان الحياة
لأن لك الـ

وفي قصيدة « أربعاء الرماد » (١٩٣٠) ننتقل من الجحيم الى المطهر . فقد تطور الشاعر من شـــكوكيته الباكرة الى موقف الايمان المسيحي ، واتخذ من دانتي مرشدا له في هذه الحجـــة الروحية ، واهتدى الى أن « سلامنا في مشيئته » .

وأخيرا توج اليوت أعماله الشعرية بديوان « **أربع رباعيات** » (١٩٤٣) الذى يلخص كل خيوط أعمـــاله السابقة ، وينتهى بها الى ذروة جليلة • فعنوان الديوان مشتق من الموسيقى ، ويتكون من أربع قصائد يغلب على كل منها أحد العناصر الأربعة القديمة : الماء ، والنار ، والتراب ، والهواء • وبعد معاناة عمر كامل يصل الشاعر الى لون من السكينة الروحية ، والتراضى مع الكون ، وذلك حين يختم ديوانه بكلمات القديسة جوليانا النرويجية :

لسوف يغدو كل شيء على ما يرام
ولسوف تغدو كل الأشياء على ما يرام
وذلك عندما تنطوى ألسنة اللهيب الى الداخل
فى العقدة التاجية للنار
وتغدو النار والوردة شيئا واحدا •

شعراء الثلاثينيات

في الشعر الانجليزى الحديث مجموعة من الشعراء تعرف باسم « شعراء الثلاثينيات » لأنهم برزوا فى الفترة من ١٩٣٠ الى ١٩٤٠ ، وكانت بينهم أوجه للشبه ، وان كان ذلك لا يعنى أنهم كونوا — فى يوم من الأيام — مدرسة لها منهج شعرى محدد ، وأهداف واضحة ٠

ويشمل هؤلاء الشعراء : سيسـيل داى لويس ، وويستان هو أودن ، ولويس ماكنيس ، وستفن سبندر٠ ويشتركون جميعا فى تأثرهم باليوت شكلا وثورتهم عليه من حيث المضمون ، وتعاطفهم مع الرجل العادى ، وميولهم اليسارية ، وان تباينت بهم السبل بعد ذلك ٠

فداى لويس (ولد ٢٧ ابريل ١٩٠٤) شاعر ولد

فى باليتنوجر بايرلندا وكان أبوه قسا • ينتمى من جهة أمه الى أسرة جولد سميث • انتقلت أسرته الى انجلترا وتلقى دراسته فى شربورن وكلية ودام بأوكسفورد حيث حرر منتخبات شعرية عنوانها (**شعر أوكسفورد**) فى ١٩٢٧ • بعد أن اشتغل مدرسا فى مدارس أوكسفورد وهلينزبرا وتشلتنام ، هجر التدريس عام ١٩٣٥ ليتفرغ للكتابة • كون مع أودن وسبندر ، اللذين كانا زميلين له فى اكسفورد ، جماعة شعرية تستمد بعض وحيها من ت•س• اليوت ، وتعبر عن الشعور الســـائد آنذاك بالسخط الاجتماعى • أهم دواوينـــه هى : « **مجموعة القصائد ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣** » (١٩٣٥) « **الخان افتتاحية الى الموت** » (١٩٣٨)« **الكلمة فوق الجميع** » (١٩٤٣) (**زيارة لايطاليا**) ١٩٥٣ • ترجم أيضا (**الريفيات**) و (**الانيادة**) لفرجيل شعرا • أعماله النقدية ذات جاذبية تســتهوى القارىء ، وقد قرر بعضها على طلبة المدارس • كتب « **أمل للشعر** » (١٩٣٤) «**الشعر لك**» (١٩٤٥) «**الاستمتاع بالشعر** » (١٩٥٢) « **الأسلوب الفخيم** » (١٩٥٢) كمــا كتب بعض الروايات وهى : «**الشجرة الصديقة**» (١٩٣٦) « **نقطة الانطلاق** » (١٩٣٧) « **ابن عثار الحظ** » (١٩٣٩) ولكنه لم يشتهر بها قدر ما اشتهر بقصصــه البوليسية الممتــازة التى نشرها تحت اسم نيكولاس بليك ، ومن أهمها : « **مسألة رهان** » (١٩٣٥) « **الحقــد فى بــلاد العجائب** » (١٩٤٠)« **قضية بائع الثلج الكريه** » (١٩٤١)

وأثناء الحرب العالمية الثـــانية اشتغل فى مصـــــلحة الاستعلامات ، وفى الفترة الممتدة من ١٩٥١ الى ١٩٥٥ عين أستاذا لكرسى الشعر بجامعة أوكسفورد ·

ولويس شاعر غنى الخيال ، تحول عن قصـــائده السياسية الباكرة الى غزليـــات رقيقة · وهو بارع فى المحاكاة الساخرة ، يرفدها حس بالفكاهة · فهو يعمد ، مثلا ، الى قصيدة الشاعر والكاتب المسرحى كريستوفر مارلو (١٥٦٤ ـ ١٥٩٣) التى يخاطب فيها راع عاشـــق حبيبته ، ومطلعها :

هلم عيشى معى وكونى حبيبتى
وسنجرب كل المسرات
التى تقدمها التلال والوديان والحقول
أو الغابات أو الجبل المنحدر ·

***

سنجلس على الصخور
ونرى الرعاة يغذون قطعانهم
قرب الأنهار الضحلة ، وعلى مساقطها
تترنم الطيور الصادحة بأغانى الحب ·

فيعيد لويس كتابة هذه الرعوية لتغدو :

هلم عيشى معى وكونى حبيبتى
وسنجرب كل مسرات
السلام والوفرة والنوم والاقامة

التى توفرها الوظائف العارضة ٠

***

سوف أتناول اللطائف على سطوح السفن
وأنت تقرأين عن ثياب الصيف
وعند المساء ، قرب القنوات الآسنة
سيساورنا الأمل فى سماع بعض أغانى الحب ٠

***

على جبينك العذرى ستضع الهموم
اكليلا من التجاعيد ، وتنتعل قدمك
الألم : لا حرير الثياب
وانما الكدح سيرهق حلاوتك ٠

***

سيسيطر الجوع عليك
ويسلبك الموت الأحمق كل شيء عدا العظام
ولئن حركت هذه المباهج ذهنك
فهلم عيشى معى وكونى حبيبتى ٠

وأما و٠ هـ٠ أودن (ولد ٢١ فبراير ١٩٠٧) فهو أبرز هؤلاء الشعراء واغزرهم انتاجا ٠ ولكن الآراء تختلف فيه اختلافا شديدا ، أو كما يقول ر٠ج٠ كوكس المحاضر بجامعة مانشستر فى مقالته « شعر و٠ هـ٠ أودن » ، من كتاب «**العصر الحديث**» (تحرير بوريس فورد ، سلسلة بليكان ، ١٩٦٣) : من المتفق عليه أن أودن هو الشاعر

الحديث الذى يلى اليوت مباشرة فى الأهمية ، ولكن من الصعب أن ننتهى الى تحديد دقيق لطبيعة أهميته : فهو لم يكتب قصيدة واحدة تجمع الآراء على أنها آيته ، مثلما كتب اليوت « **الأرض الخراب** » أو ييتس « **البرج** » •
وتختلف الآراء أيضا فى تقدير مدى نجاح قصـــائده وطبيعتها : فهناك من يصفونه بأنه بيكاسو الشـــعر الحديث ، وهناك من يصفونه بأنه يعـــالج أفكارا عامة ، وهناك من يعدونه شاعرا تهكميا فى المحل الأول ، وهناك من يعدونه رومانتيكيا فى أعماقه ، ومن يعدونه بارعا فى الشعر الفكاهى فقط • ولاشك أن اختلاف الآراء حوله انما يرجع الى اختلاف المراحل التى مر بها تفكيره خلال ثلاثين عاما ورهافة الحس الذى رصد به تغيرات الرأى فى زمنه ••

والواقع أن أودن ـ بكل مزاياه وعيوبه ـ يمثل نموذج الشاعر الحديث الذى بدأ حيـــاته بالتلمذة على اليوت ثم التحم بقضايا العصر ـ الكساد الاقتصادى ، وظهور هتلر والفاشية ، والحرب الأهلية الاسبانية وغازل الماركسية حينا ، وبعد تردد بين ماركس وفرويد آثر الدخول فى حظيرة الدين كاليوت ، وصارت قصائده ـ مع التقدم فى السن ـ أحكم وأهدأ وان ظلت بها أصداء من مؤثرات شبابه ••

ولد أودن ، لأب طبيب ، فى يورك وتلقى دراسته

فى مدرسة جريشام بهولت وكرايست تشيرش بأوكسفورد، وبعد أن زار المانيا اشتغل بالتدريس فى انجلترا لفترة قصيرة • نشر أول ديوان له (**قصائد**) فى ١٩٣٠ واتبعه بـ (**الخطباء**) ١٩٣٢ (**رقصة الموت**) ١٩٣٣ (**انظر أيها الغريب**) ١٩٣٦ ورغم أنه لم يكن شيوعيا فقد أصبح زعيم مدرسة جديدة من الشعراء اليساريين برزت فى العقد الذى سبق قيام الحرب العالمية الثانية ونمت أعمالها عن تأثر بـ ت• س• اليوت • فى ١٩٣٧ اشتغل حامل محفة فى الحرب الأهلية الأسبانية وكتب قصيدة عنوانها (أسبانيا) ونال ميدالية ملك بريطانيا فى الشعر • اشترك فى تحرير كتاب منتخبات شعرية عنوانه (**لسان الشاعر**) ١٩٣٥ ويقوم هذا الكتاب على المبدأ القائل بأن الشعر « كلام لا ينسى » كما حرر (**كتاب أكسفورد فى الشعر الفكاهى**) ١٩٣٨ • تزوج من اريكا مان ابنة الروائى الألمانى توماس مان • وفى ١٩٣٨ سافر نهائيا الى الولايات المتحدة وتجنس بالجنسية الأمريكية ، واشتغل بالتدريس فى عدد من الكليات والجامعات الأمريكية • تشمل دواوينه التى نشرها منذ ذلك الحين (**فى زمن آخر**) (١٩٤٠) « **رسالة العام الجديد** » (١٩٤١) « **فى الوقت الحاضر** » (١٩٤٥) « **عصر القلق** » (١٩٤٨) « **مجموعة القصائد القصيرة** » (١٩٥٠) • اشترك مع كريستوفر ايشروود فى كتابة ثلاث مسرحيات شعرية هى « **الكلب من تحت الجلد** » (١٩٣٥) « **صعود فى ٦** » (اسم جبل)

(١٩٣٦) ، « **على التخم** » (١٩٣٨) ورغم أنه يستخدم لغة الكلام العادى فى أغلب الأحيان ، فان شعره لا ينجو دائما من الغموض الشائع بين شعراء عصره · ومن الصعب تقدير قيمة انتاجه لأنه ليس له أسلوب واحد ، وان كان أثره على غيره من الشـــعراء لا شك فيه ، وفى ١٩٥٦ انتخب أستاذا للشعر فى جامعة أوكسفورد ·

يقول أودن فى قصيدته « رفع العقيرة بالصياح عقيم » :

رفع العقيرة بالصياح عقيم

فلتسقطى ، أى هنى ، هذا الحق من حسابك

لست أريد المزيد من أحضانك

فاصنعى لى شايا طازجا ، وهاتى لى بعض الأبسطة

هأنذا وهأنتذى

ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟

قديما قلت لأمى

انى أزمعت مغادرة البيت لأجد لى بيتا آخر

انى لم أجب على رسالتها قط

ولكنى لم أجد خيرا منها قط

هأنذا وهأنتذى

ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟

أو لم يكن الأمر دائما على هذا النحو ؟

لعله لم يكن ، ولكن هذا هو الأمر الواقع

خذ العربة بعيدا ، فحين تهون الحياة

أى جدوى من الذهاب الى ويلز ؟
هأنذا وهأنتذى
ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟
قد كان ثمة هبوط فى عمودى الفقرى
وقد كنت أعرف وجه الجنرال
لكنهم قد قطعوا الأسلاك جميعا
وليس فى مقدورى التكهن بما يريده الجنرال
هأنذا وهأنتذى
ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟
ان فى عروقى لأمنية
وذكرى سمك .
فاذا ما انبطحت باكيا على الأرض
همست بى : « لقد طالما فعلت هذا من قبل »
هأنتذا وهأنتذى
ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟
قد اعتاد طائر أن يزور هذا الشاطىء
ولكنه لم يعد يأتى الآن
ولقد قطعت شوطا بالغ الطول حتى انتهيت الى :
لا أرض ، وما ماء ، ولا حب .
هأنذا وهأنتذى
ولكن أى معنى لذا ؟ وما ترانا فاعلين ؟

وهى قصيدة تعبر عن شعور كثير من شباب هـذا الجيل الذى بدأ بالتمرد على حياة البيت ، ثم ألقى به فى

غمرة الحرب ، وعاد منها بـ « لا أرض ، ولا ماء ، ولا حب» .

كذلك برع أودن فى كتابة الموال الذى يروى قصة منظومة ، تمتزج فيها الفكاهة بالشجن . وله فى هذا الباب « الآنسة جى : موال » عن فتاة تظل متمسكة بأهداب العفاف ولكنها تصاب فجأة بالساركومة (ورم عضلى خبيث) وتنتهى حياتها ممددة عارية ، تحت أعين طلبة الطب ، فى قسم التشريح بأحد المستشفيات . و « فيكتور : موال » عن شاب مستقيم أيضا يقترن بفتاة لعوب ، وحين يكتشف انها تخونه يتزلزل ايمانه .

نظر فيكتور الى غروب الشمس
اذ وقف هناك بمفرده
وصاح : « أأنت فى السماء ، يا أبتى ؟ »
ولكن السماء أجابت : « العنوان غير معروف »

* * *

نظر فيكتور الى الجبال
الجبال المغطاة كلها بالجليد
وصاح : « أراض أنت عنى يا أبتى ؟ »
فجاءته الاجابة بالنفى .

* * *

وجاء فيكتور الى الغابة
وصاح : «أى أبتى أتخلص العهد فى يوم من الأيام؟»

فهزت أشجار البلوط والزان رءوسها :
وأجابته : « أجل ، ولكن ليس لك »

***

وأقبل فيكتور على المرج
حيث كانت الرياح تمر ٠
وصاح : « أى أبتى ، انى لأحبها حبا شديدا »
ولكن الرياح أجابته : « لابد من موتها »

***

جاء فيكتور الى النهر
الذى يجرى بالغ العمق بالغ السكون
صائحا : « أى أبتى ، ما عسانى صانعا ؟ »
فأجابه النهر : « اقتلها »

***

ويكون ذلك ، ولكن المسكين يصاب بالخبال ، ويتوهم نفسه الله القادر على أن يحيى ويميت :

ربتوا على كتف فيكتور
وأخذوه بعيدا فى عربة
فجلس ساكنا مثل كتلة من الأعشاب
يقول « أنا ابن الانسان »

***

جلس فيكتور فى ركن
يصنع امرأة من الطين

يقول : « أنا البداية والنهاية ، سآتى
لكى أدين الأرض ، فى يوم من الأيام » ٠

***

وأما لويس ماكنيس (ولد ١٢ سبتمبر ١٩٠٧) فشاعر واقعى ، تهكمى ، محايد ، يجمع بين البرود الانجليزى التقليدى والطبيعة الحارة التى تأبى الافصاح عن ذاتها ، وتتوسل بالشفة العليا الصلبة الى مواجهة العالم ، واجتناب العاطفة الرخيصة ٠

ولد ماكنيس في بلفاست لأب بروستانتى كان أسقفا لمدينة داون وتلقى دراسته فى مارلبورو وكلية ميرتون بأوكسفورد ٠ من ١٩٣٠ الى ١٩٣٦ كان محاضرا فى قسم الكلاسيات فى برمنجهام ، ثم فى كلية بدفورد بجامعة لندن ٠ وفى ذلك الوقت سافر الى ايسلندا مع و٠هـ٠ أودن، واشترك معه فى كتابة « **رسائل من ايسلندا** » (١٩٣٧) ٠ كان ينتمى الى جماعة أودن وسبنسر ويكشف عن نفس التهكم والنزعة الى الهجاء الساخر ٠ وتشمل دواوينه : « **ألعاب نارية عمياء** » (١٩٢٩) « **الأرض ترغم** »(١٩٣٨) « **يوميات الخريف** (١٩٣٩) « **منصة الوثب** » (١٩٤٤) « **البرج المظلم** » (١٩٤٦) « **ثقوب فى السماء** » (١٩٤٨) « **عشر تقدمات محروقة** » (١٩٥٢) وكذلك ترجم مسرحية « **أجا ممنون** » لايسخولوس ومسرحية « **فاوست** » لجوته ٠ وله فى النقد كتاب « **الشعر الحديث** » (١٩٣٨) وكتاب آخر عن ييتس ٠٠

يقول ماكنيس فى قصيدته « صلاة قبل الميلاد » :

أنا لم أولد حتى الآن فأصنع سمعا
لا تدع الخفـاش مصاص الدماء ولا الفأر ولا القاقم
ولا الغول الشائه القدم يدنو منى ،

***

أنا لم أولد حتى الآن فعزنى وواسنى
انى أخشى أن يحيطنى الجنس البشرى بحيطان عالية
أو يخدرنى
بعقاقير قوية
أو يفتننى بأكاذيب حـكيمة أو يعـــذبنى على آلات
التعذيب السوداء أو يدحرجنى الى حمامات الدم
أنا لم أولد حتى الآن فامددنى
بالماء ليرقصنى والعشب لينمو لى والأشجار لتحدثنى
والسماء لتغنى
لى والطيور ونورا أبيض فى مؤخرة ذهنى ليقودنى ·

***

أنا لم أولد حتى الآن فاغفر لى
الآثام التى سترتكبها الدنيا فى
وكلماتى عندما تتحدث عنى ، وأفكارى عندما
تفكر عنى ، وخيانتى الناجمة
عن غيرى من الخونة ، وحياتى عندما يقتلون

بيدى أنا ، وموتى أنا عندما
يشيعوننى .

***

أنا لم أولد حتى الآن فاتل على
الأدوار التى يتعين على القيام بها والتعليمات التى يتعين على
تلقيهـــا
عندما يحاضرنى الكهول ويناكدنى البيروقراطيون
وتعبس الجبال ويضحك العشاق منى
وتدعونى الأمواج البيضاء الى الحماقات ، وتدعونى الصحراء
الى حتفى ، ويأبى المتسول
عطيتى ، ويلعننى أطفالى ،

***

أنا لم أولد حتى الآن فاصغ سمعا
لا تدع الانسان الذى هو وحش أومن يخال نفسه الله يدنو منى

***

أنا لم أولد حتى الآن فاملأنى
بالقوة ضد أولئك الخليقين بأن يجمدوا
انسانيتى ويرغمونى على أن أغدو انسانا آليا مميتا
ويجعلونى سن دولاب فى آلة
أو شيئا ذا وجه واحد ، شيئا ، وضد جميع
الخليقين بأن يشتتوا كيانى الكلى
وان ينفخونى كزغب النبتة الشائكة ههنا
أو هنالك ، ههناء أو هنالك
كالمـــاء

فى الأيدى هم خليقون أن يهرقونى ٠
لا تدعهم يجعلوا منى حجراً ، ولا تدعهم يهرقونى
أو فاقتلنى ٠

ففى هذه القصيدة نجد جنينا يخاطب العالم مستنكرا شروره وظلمه ، ومتمنيا الا يخرج الى النور ، اذا كان التلوث مآله ٠ انها صرخة الانسان ــ دون خطابة أو دعاية ــ ضد كل الأنظمة الشمولية التى تخنق الروح وتميت القلب ٠٠ وآخر هؤلاء الشعراء هو ستفن سبندر الذى ولد فى ٢٨ فبراير ١٩٠٩ ، بلندن ، وكان أبوه صحفيا ٠ انه ينحدر جزئيا من سلالة ألمانية من جهة الأم ٠ تلقى دراسته فى جامعة أوكسفورد حيث تصادق مع و ٠ ه ٠ أودن وسيسيل داى لويس ولويس ماكنيس وغازل معهم الماركسية زمنا وان ظل مؤمنا بالفرد ايمانا قويا ٠ انضم الى الحزب الشيوعى ولكنه غادره بعد أسابيع قلائل ٠ سافر كثيرا خلال القارة الأوروبية بصحبة كريستوفر ايشروود وصدر ديوانه « **مجموعة القصائد** » فى ١٩٥٥ ٠

ان سبندر ــ كما يقول ج ٠ س فريزر فى كتابه « **الكاتب الحديث وعالمه** (سلسلة بليكان) ــ أقل عقلانية وأكثر ذاتية من أودن وماكنيس ٠ فهو يميل الى الشعر الحر ويوحى بأنه يهدف اليه حتى عندما يحاول كتابة شعر مرسل أو مقطوعات مقفاة ٠ وشعره بطىء الحركة كثيف ، جمله طويلة متقبضة ، تعبر عن تلمس الذهن طريقه فى

عناء ، وان كانت تفضى أحيانا الى أبيات على قدر كبير من التركيز والتوازن الغنائى :

العين ، أيها الغزال ، الهائم الرقيق ،
الشارب من خط الأفق السائل ..

ويعبر سبندر ـ ببلاغة وقور محركة للمشاعر ـ عن انفعالات صادقة وعميقة ، ساعيا الى تحريك مشاعر القارىء ولكن دون أن يقدم تفاصيل الموقف المراد به أن يكون معادلا لهذه المشاعر . وهو فى هذا يختلف عن أودن الذى يكثر من ايراد التفاصيل والوقائع ، ولكنه لا يوضح ـ على وجه الدقة ـ نوعية الاستجابة التى يرمى الى أن يثيرها فى القارىء . ولا يستخدم سبندر كثيرا من الوسائل التى برع فيها أودن : كذلاقة اللسان والفكاهة والتورية الساخرة وكذلك ـ على وجه الخصوص ـ الازدواج الوجدانى ، الذى يمكن الشاعر من أن ينظر الى أى موقف على أنه مضحك وحزين ، عديم الرفعة وبطولى ، مؤثر وأحمق ، تافه وذو دلالة ، فى آن واحد . ففى بعض قصائد سبندر الشخصية عن استجابته للحرب الأهلية الاسبانية نراه يرغب فى ابتعاث معانى البطولة ، ولكنه يشعر ـ بدلا من ذلك ـ برغبة قوية فى تركها ، وبأن كل الحروب ـ مهما نبلت غايتها ـ بشعة . وفى قصيدته التى كتبها على أثر هجر زوجته له ، كى تعيش مع رجل آخر ، يحاول أن يظهر فى مظهر الغفور النبيل ولكنه لا يستطيع أن يقاوم شعوره الذى لا يطاق بالحقد والغيرة .

المشهد المعاصر

« لم يعد ثمة من يرغب فى قصائد عن الفلاسفة أو التصاوير أو الروائيين أو قاعات الفن أو الأساطير أو المدن الأجنبية أو القصائد الأخرى ٠ أنى – على الأقل – آمل ألا يكون ثمة من يرغب فيها » ٠

هكذا كتب الشاعر والروائى الانجليزى المعاصر كينجزلى ايميس فى كتاب « شعراء الخمسينيات » الذى اشرف على جمع مقالاته د٠ ج٠ ايزايت ٠

ويقول فيليب لاركن فى نفس الكتاب : « لست أومن بـ « التقاليد » أو بمجموعة مشتركة من الأساطير أو الاشارات العارضة فى القصائد الى قصائد آخرى أو شعراء آخرين » ٠

ما الذى تعنيه هذه الكلمات ؟ انها تمثل رد فعل الجيل

الحالى من الشعراء الشبان ازاء جيل ييتس وباوند واليوت واضرابهم : ذلك الجيل المتفقه الذى أحال الشعر الى لعبة عقلية ، ومزج بين معارف الانسان الحديث ومعتقدات الرجل البدائى ، بحيث غدت قصائدهم ـ « بين أطفال المدرسة » أو « الأرض الخراب » أو « الأناشيد » ـ ألغازا يستغلق فهمها على رجل الشارع ، الا أن يكون ملماً بالموروث الأدبى والفنى والعلمى ، ونتف من التاريخ والفلسفة وعلم النفس والانثروبولوجيا مع احاطة بالكتب المقدسة وفلسفات الشرق ودياناته ، وأساطير اليونان والفراعنة والفينيقيين ، وعديد من اللغات .

علام هذا كله ؟ وما للتحذلق والشعر ، والشعر ـ قبل أن يكون مشغلة الأكاديميين ـ هو صوت الاحساس الصادق ، أو هو صرخة من القلب تبحث عن صدى مجاوب فى نفس القارىء ؟ هذا ما يؤمن به الشعراء الانجليز اليوم ويسعون الى تحقيقه .

وليس معنى هذا ، بطبيعة الحال ، انهم يرفضون التراث ، أو لا يستفيدون من جيل ييتس وباوند واليوت . فنحن نجد ر. س. توماس ، مثلا ، يبدأ قصيدته « أغنية عن استدارة الحول » بقوله :

ان شلى قد حلمها . والآن يتداعى الحلم
وتتصدع الدعائم . والطرق المألوفة
قد بليت مع الدموع المديسة تحت الأقدام .

ويعنون قصيدة أخرى « عن بيت من ساندبرج » حيث يلتقط من ذلك الشاعر الأمريكى (ولد ١٨٧٨) أبياتا ينميها بما يلائم أهدافه الخاصة .

وجون وين (ولد ١٩٢٥) يصدر احدى قصائده بأبيات من مسرحية « **هيبوليتوس** » ليوربيديز . يقول هيبوليتوس لأرتيس : « أترين ما ابتليت به ، أيتها الملكة ، وقد أصابنى ما أصابنى ؟ « فتجيبه :» أجل ، انى أراه . بيد أن عينى ليس لهما أو تذرفا الدمع » .

وآرثر بويارز (ولد ١٩٢٥) يصدر قصيدته « الحرف الأول » بمقتطف من تفسير جديد لكوميديا دانتى الالهية وحياته الجديدة ، على ضوء علم النفس الحديث ، ينتهى الى أنه « هكذا غدت بياتريشى جوازا مستحوذا على دانتى . »

ويكتب كريستوفر ميدلتون (ولد ١٩٢٦) قصيدة عن « ادوارد لير فى شهر فبراير » مذكرا ايانا بذلك الشاعر والرسام الانجليزى (١٨١٢ ـ ١٨٨٨) الذى لا يفوقه فى فن الهزل سوى لويس كارول .

وتشارلز توملينسون (ولد ١٩٢٧) يكتب «وداعا لفنان جوخ » :

وداعا ، وشكرا لجنونك المفيد .
ان العالم لا ينتهى الليلة
والثمرة التى سنلتقطها غدا
فى انتظارنا

وتوم جن (ولد ١٩٢٩) يكتب عن « اغتصـــاب هيلين » :

كان اغتصابها هو آخر اغتصاب صادق

فتتردد في قصيدته أصـــداء : يوروبا ، وداناى ، وليـــدا ، وباريس ، وأفروديتى ، واغتصـــاب الرومان للسابينيات ، حرب طروادة ٠

ويكتب جيفرى هيل (ولد ١٩٣٢) قصيدة «التكوين» حيث يســـتوحى أول أســـفار العهد القديم ، صـــانعا ميثولوجياه الخاصة ، ومعيدا خلق العالم فى ستة أيام ٠

ثم هذا جون كوتون (ولد ١٩٢٥) يصدر قصيدته « تقرير » بهذين البيتين من قصيدة « ايست كوكر » لاليوت :

أواه أيها الظلام الظلام الظلام ٠ انهم جميعا يختفون فى الظلام ، فى الفجوات الخاوية بين الكواكب ٠

ودوجلاس دن (ولد ١٩٤٢) يكتب قصـــيدة عن « نرجس » الشاب الجميل الذى عشق انعكاس صـــورته على صفحة الماء ، الى أن استحال الى زهرة :

أيها الغرور ، بوسعى أن أرقص طيلة الليل
فى قاعة المرايا معك
ناظرا الى شق ثوبك
(ذلك أنك لابد أن تكون امرأة)
اغمس هنا وانحنى هناك

لصور أسلافى
الذين يلوحون جميعا شبيهين بى
أعينهم قد استدارت من النظر فى الماء .

والين فينشتاين (ولدت ١٩٣٠) تصدر قصيدتها « حلم عنوسة » بهذا المقتطف من فرانز كافكا : « التوق الى عزلة طائشة لا تعرف التفكير » .

وجيرمى هوكر (ولد ١٩٤١) يكتب ثلاث قصائد : «دراسة توماس هاردى فى متحف دورتشستر » ، «ملحوظة عن قصيدة لتوماس هاردى» ، « توماس هاردى يشعل النار فى رسائله » .

وف . هورول يكتب « تحية لمارفل » :
سنجلس عبر الأبدية فى فنادق المحطات
دوو مجلات ، ولا مشارب ، ولا صحبة .
لن تنفتح قط الأبواب ذات المحاور
ولن تدق تليفونات

مذكرا ايانا بقصيدة مارفل العظيمة ، الى حبيبته الخجول » :

وهناك ترقد أمامنا
صحارى الأبدية الشاسعة .

ووري فولر يكتب قصيدة عن « قراءة » أهالى بيسطو و فى خليج الجسيراس ، (مجلة « نيوستيتسمان»

٢٣ سبتمبر ١٩٦٦) عن رواية هنرى جيمز التى نشرت لأول مرة عام ١٨٨٦ ٠

وجيفرى جريجسون يكتب قصيدة « عن حركات معينة مسترجعة فى هدوء » (مجلة **نيوستيتسمان** » ، ٧ أبريل ١٩٦٧) ، مذكرا ايانا بتعريف وردزورث للشعر : « انفعال مسترجع فى هدوء » ، ومشيرا فى ثنايا هذه القصيدة الى أندرو مارفل ٠٠ كذلك يذكرنا برواية سويفت « **رحلات جليفر** » ، تلك الأهجية المرة للجنس البشرى ، حين يكتب قصيدة « الياهو : تنويع » (مجلة « نيوستيتسمان »٢١ أبريل ١٩٦٧) :

أظن أنى أحب الجنس البشرى
وان تكن طرقه غريبة ، ووجهه غريبا ٠

وان يكن أبناؤه : الفيس وستان ورون غريبىالأطوار
وشراحه المسيحيون ، وخريجو جامعاته ،

ان له مزاياه كما أن له عيوبه
من الحق أنه على أيدى أمثالى وأمثالك

يحرق الفيتناميون واليهود سواء بسواء ٠
من الحق أن مزاياه يصعب تبينها

ولكن لا تهتم :
مهما تكن قائمتها قصيرة ، فيما تظن ،

أيها المتشائم المرير
فانها موجودة ، موجودة ٠

وادوين مورجان فى قصـــيدته « مسرات جـامعة تكنولوجيـــة ، مجـــلة « نيوستيتسمان » ، ٢٥ مارس ١٩٦٦) يحدث تأثيراته عن طريق المجاورة بين أسماء المواد التى تدرس فى قسم الأدب وتلك التى تدرس فى قسم العلوم :

الماغنسيوم وكراشو
الصواريخ المرتدة الى الخلف والتحول

***

الكبرياء المأسوى والهليوم

***

اليوت والانتروبيا

***

العدادات والأوزان
« ايثان براند » وسائل الاثيل
الفطنة وكلوريد الصوديوم

***

القصيدة والثمرة التفاحية

ويعتمد تأثير هذه الأبيات على المجانسة بين حروف الكلمات التى تصنعها جنبا الى جنب مثل :

Lastra Lubris and helium

(الهوبريس : الكبرياء المأسوى الذى يودى بالبطل الى الهلاك فى التراجيديا اليونانية ، والهليوم : ذلك الغاز الخامل) أو **meters and metres**

ويكتب نفس الشاعر « قصيدة شيخ اللورد جيم » مستوحيا اياها من رواية جوزيف كونراد المشهورة ·

وريتشارد فرلست يصدر قصيدته « الحياة ؟ » (مجلة « **نيوستيسمان** » ٢٦ مايو ١٩٦٧) بكلمات الشاعر الفيكتــورى روبرت براوننج : « النفس ، ولا ريب ، خالدة ـ حيثمــا أمكن تبين وجــود نفس » ، ويضــمنها اشــارات الى لجنة وارن التى تولت التحقيق فى اغتيال الرئيس الأمريكى جون ف · كنيدى ، ثم يختمهــا بهذه التساؤلات :

انى أسترجع أحيانا ، نصف استرجاع ، لغزا
اذ أرى يونانيا قديما فى ثوبه
فهل ترانى أكثرت من قراءة التاريخ
أو هل ترانى رأيت شكســبير فى مسرح الجلوب
وهل كان فيثاغورس مصيبا فى ايمانه بتناسخ الأرواح
وهل البوذية هلوسة ؟

بل ان كينجزلى ايميس نفســه يكتب قصيدة عن « بيولف » تلك الملحمة الانجلو ـ ساكسونية عن الفارس بيولف الذى يقتل الوحش جرندل · وقصيدته « شىء قذر فى المكتبة » حافلة بالاشارات :

بين ركن تعهد الحدائق وركن المطهى
يأتى رف الشعر الوجيز

وقرب طبعة نتستش لدون منتخبات نحيلة
تقدم نفسها ٠

بنظرة ناقدة ، ودون أن يكون لدى شيء آخر أفعله ،
أجرى بعينى على صفحة المحتويات
وأطيب بالا اذ أجد أن أغلب الأسماء جديدة
ليس فيها من هو فى سنى ٠

وككل الغرباء ، يقسمون حسب الجنس :
« **منظر طبيعي قرب بارما** »
يشـوق الرجل ، وكذلك « **الدوامة المزدوجة** »
و « **ريلكه وبوذا** »

«انى أســـافر ، كما ترى» ، «انى أفكر» ، «انى
أستطيع أن أقرأ »
هذا ما يلوح أن عناوين هذه الكتب تقوله
أما كتب « **انى أذكرك** » و « الحب عقيدتى »
و « **قصيدة لج** »
فهى ما تختاره السيدات ٠

الشعراء المعاصرون اذن لا يولون ظهرهم للثقافة ،
ولا يضربـــون عـرض الحائـــط بالكتب واللوحـات
والســيمفونيات ٠ غاية الأمر انهم يأبون الانحصار بين
جدران ضيقة ، ويريدون أن يخرجوا الى الهـواء الطلق ،
فى وضح النهـار ، وتحت نور الشـمس ، مسـتلهمين
مادتهم من أفراح الرجل العادى وآلامه ٠

وثمة نقطة أخرى : ان صانعى الشعر الانجليزى اليوم ليسوا كلهم من جيل الشباب ، فان شيوخا من أمثال هيوماكديارميد ، وروبرت جريفز ،وستفن سبندر، مازالوا على قيد الحياة يكتبون شعرا جميلا ، ويبدون عن قدرة غير منقوصة على التطور .

خذ هيوماكديارميد مثلا . انه شاعر اسكتلندى ولد عام ١٨٩٢ ، ودرس فى جامعة ادنبره . أيد الحركة القومية الاسكتلندية ، وساعد على تكوين الحزب القومى الاسكتلندى . يكتب بلهجة بلاده المحلية أحيانا ، وبالانجليزية الفصحى أحيانا أخرى . له عدد من الدواوين والدراسات النقدية .

هذا الشاعر العجوز هو الذى يكتب فى جريدة « **ذا سكوتسمان** » (١ نوفمبر ١٩٦٩) قصيدة «أناشيدى فى الأرض الخراب» موجها الى حضارة الغرب الرأسمالية أمضى النقدات :

انى فى المحل الأول ألعن وأناضل كى أحارب
ماسة الثقافة الرأسمالية : تلك الماسة المجذومة
التى لا تعدو أن تلطخ ما لا تستطيع أن تمنحه
لمعانها الفائق الخاص

فى مكان ما من ملكتها الخلاقة يختفى

عيب ، صفة عابثة لا عقل لها
ليس لديها اجابة انسانية ٠
فراغ جهنمى ٠

وهذا روبرت جريفز المولود عام ١٨٩٥ والذى عاش حياة حافلة بالخبرات والأخطار ما زال يكتب ٠ لقد أدى الخدمة العسكرية فى فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأمدته جزئيا بمادة سيرته الذاتية « **وداعا لذلك كله** » (١٩٢٩) ، ودرس فى كلية القديس يوحنا بجامعة أوكسفورد ، ومنذ مطلع الثلاثينات وهو يعيش فى جزيرة ماجوركا الأسبانية ٠ كان أستاذا للشعر بأوكسفورد من ١٩٦١ الى ١٩٦٦ وقد كتب فى عدة مجالات وأجاد فيها جميعا ٠ يقول : « من سن الخامسة عشرة ، والشعر هو العاطفة المهيمنة على ٠٠٠ أما النثر فهو سبيلى الى اكتساب معاشى » ٠

يقول فى قصيدته « أغنية : النخلة » (مجلة « **نيوستيتسمان** » ١٧ مارس ١٩٦٧) :

أيتها النخلة ، وحيدة منفصلة
فى أرضك التى يسكنها الثعبان ،
كنافورة قلب
تحلق فى الهواء منبثقة من الرمال ـ
لا يستطيع أحد أن يأخذ عليك
أن جذورك تغتذى على الملح ،

وهى تذكرنا ، من حيث الايقاع ، بقصيدة بليك « النمر » :

أيها النمر ! أيها القمر ! يا من تتوهج لامعا
فى غابات الليل
أى يد أو عين خالدة
قد وسعها أن تصوغ تناسبك المرهوب ؟

على أن هذا التشابه خاصة موضعية ، لا تنفصل عن موسيقى الأبيات ، ولا تتذوق الا فى لغتها ٠

وهؤلاء الشعراء ـ مهما يكن من حيويتهم ـ ليسوا فى نهاية الأمر الانتاج عصر مضى ، والشعر المعاصر انما يصنعه ـ ممارسة وفكرا ـ جيل جديد تتعدد اتجاهاته ٠

الاتجاه الانسانى

فهناك ـ فى المحل الأول ـ اتجاه ـ انسانى يرمى الى العودة بالشعر الى منابع التلقائية ، ويصور دفء العلاقات بين البشر ، ومن ممثلى هذا الاتجاه والى كوفمان فى قصيدته « ضرب من الحب » (مجلة «« انكاونتر »» مايو ١٩٦١) :

كان أبى يكدح مع الآلات الدقيقة
يمتزج عرقه بزيتها
حتى لا تشكو ، نحن الأولاد ، الهزال ٠

وحين يقبل الليل ، وتكون الحاجة الى النوم قد آلمته
يبتسم لدى الباب ويركع
لكى يطوقنا بذراعين ثقيلتين
ويحك خده الداكن المنتفش
على وجوهنا ، بينما نحن نتصايح
ونحن ، الذين كانت لدينا أزقتنا وشوارعنا
تحت الطريق المظلم
حيث كنا نمارس ألعابنا الصاخبة
كنا نظن أن من واجب هذا الرجل
أن يحبنا ، وفى غرارتنا
لم نكن نعرف ألم نومه
فى ساعات لعبنا الذى لايعرف الكلل ، لم نكن ندرك
انه انما يعمل كارها لكى يقيم أودنا ٠

التأمل فى طبيعة الخلق الشعرى

وهناك اتجاه آخر يميل أصحابه الى تأمل ذواتهم فى عملية الخلق الشعرى نفسها ، بكل ما يكتنفها من لذة ومعاناة ٠ حقا انهم لا يصلون فى هذا المجال الى ما وصل اليه شاعر عظيم كنا ليرى أوكولردج أو حتى ادجاربو من أعماق ٠ ولكن ملاحظاتهم لاتخلو من استبصارات بارعة ٠ يقول آلان ديكســـون فى قصـيدته « توعك » (**مجلة « نيوستيتسمان »** ٢٤ فبراير ١٩٦٧) :

ذات مساء ، فى الخمسين ، أرقد
آملا ألا تحاول القصيدة الطويلة
أن تدفعنى الى العمل
فردوسى المفقود أسأله أن ينتظر
اذ أتعافى
محدقا الى الشقوق الجديدة فى السقف
وعلى الأرض كأس من شيء ما
وعلى المضجع افتقار الى التوتر

ذات مساء ، فى الخمسين ، تدب الى السمنة
اذ آخذ الأمر مأخذا سهلا ، كل تلك
« الشخبطة » العقيمة دون أجر
يمكن أن تكون برهانا مقنعا ، فى يوم من الأيام ،
على الجنون ٠

التحول الاجتماعى

وهناك اتجاه آخر الى تصوير التحول الاجتماعى يمثله ايان هاملتون وهو شاعر ولد عام ١٩٣٨ فى كينجز لين بنورفوك ٠ تلقى دراسته فى مدرسة دار لنجتون وكلية كيل بأوكسفورد ، وأشرف على تحرير ثلاثة كتب : **«الشاعر الحديث»** ، **«شعر الحرب : ١٩٣٩ ، ١٩٤٥»** ، **« آلان لويس : شعر ونثر مختار »** ٠ وفى ١٩٦٤ نشر

ديوان « **التظاهر بالأرق** » . وهـــو رئيس لتحرير مجلة ((**ذا رفيو**)) ومســـاعد لرئيس تحرير ((**ملحق التايمز الأدبى**)) .

يقول فى قصيدته «التصدع» (مجلة (**(نيوستيتسمان)**) ٩ مايو ١٩٦٩) :

انه يقود عربته الآن ،

والد عائلتك

متجها الى مكان ما فى الشمال ، وقبل أن يرحل

اقتسمتما كتبك الثلاثمائة

معا . أخذ تلك التى

قرأتها

وترك

تلك التى قررت ، فى سرك ،

انها لا تقرأ .

فهذه رموز التصــدع الاجتمـاعى كمـا يرصـدها الشاعر : ان الأب يرحل عن البيت ، بعد أن اقتسم المكتبة مع ابنه . فى العشرينيات كان اليوت يرصـد مظـاهر التحول : « مس نانسى اليكوت تعلمت التدخين ورقصت كل الرقصات العصرية » ، وفى أواخر الستينيات يكون هذا التفكك قد بلغ غايته .

ومن وحى الحياة الأدبية يكتب ن . أ . بارنز فى مجلة « نيوستيتسمان » (١٢ مايو ١٩٦٧) قصـــيدته « من الذى قتل انكاونتر ؟ » مذكرا ايانا بالضجة التى ثارت حول هذه المجلة ، وعلاقتها بالمخابرات الأمريكية ، مما أدى بستفن سبندر الى الاستقالة من منصب رئاسة تحريرها :

من الذى قتل **انكاونتر** ؟
« أنا » قالها ستيف (ستفن) سبندر
« لم أستطع أن أعطيها اسمى
أنا الذى قتلت « **انكاونتر** »
من الذى قتل **انكاونتر** ؟
« أنا » قالها مل (ملفين) لاسكى
من الذى قتل **انكاونتر** ؟
« أنا » قالتها وكالة المخابرات المركزية
« كان حتما ان ينكشف الأمر يوما
أنا التى قتلت **انكاونتر** »

كذلك يكتب جافين ايوارت قصيدة « ليلة » (مجلة « **نيوستيتسمان** » ٢٦ مايو ١٩٦٧) :

أسير فى الحديقة فى طراوة المساء
يدى فى يد أعظم المحررين

الذين يموتون شــوقا الى فض مغاليق قصيدة غير متباهية ٠

وثمة لمسة ســاخرة فى البيت الأخير ، تبين كيف صار رؤساء التحرير معتادين على غموض الشعر الحديث، الى الحد الذى يجعلهم يتحرقون شوقا الى حل صعوباته ، مهما كانت القصيدة التى أمامهم سهلة وفى غير حاجة الى هذا العناء ٠

كذلك يشير البيت الأول الى سير الرب فى الحديقة ، فى طراوة النهار ، كما ورد فى ســفر التكوين ، حين اختفى آدم وحواء بين الأشجار خزيا ، بعد أن أكلا من الثمرة المحرمة ٠٠

لحظات الاستنارة

ويعتمد الشاعر ستفى سميث فى احداث تأثيراتــه على شىء من نوع تلك الاســتنارات المفاجئة التى ألهمت رامبو واحدا من أجمل دواوينه ، والتى تحــدث عنهــا جويس فى روايته ((**صورة الفنان شابا**)) تحت اســم التجلى ، يقول فى قصــيدته ((**أثناء الســير**)) (جريدة « **ذا سنداى تايمز** » فى ١١ يناير ١٩٧٠) :

سيد عجوز مهذب موهوب كان يرسم سورا من النباتات

خيم فجأة على عين خيالى أثناء السير ،

اغفر لى خطاياى

وامنحنى الحياة الأبدية لأكون معك فى السعادة الى الأبد

أردت أن أقول ذلك ، ولكنى لم أستطع ،

قلت : ان قلبى ليثب ، والفرحة تملؤنى

من أجل سورك ٠ واذ أوما ، اختفى ٠

فثمة ومضة مفاجئة تلمع فى خاطر المتكلم ، وتمنحه حسا بالانطلاق من قيود الآن ، والهنا ، ولكنها سرعان ما تنطفىء ، تاركة اياه يتأمل فى مغزاها ٠ ويستخدم الشاعر مصطلح الانجيل تأكيدا للمحتوى الدينى ـ أو الصوفى ـ لهذه الخبرة ٠

الاتجاه السيريالى

وهناك اتجاه أقرب الى السيريالية ، يقوم على عنصر الغرابة ، ويمثله هوجوويليامز فى قصيدته هذه المنشورة فى جريدة « **ذا سنداى تايمز** » (١ فبراير ١٩٧٠) :

كنت أستقل قطارا ، فاتتنى المحطة

كان أطفال صينيون ينظرون الى أنفى ،

نظرت اليهم ، أوجههم مستديرة كالصابون ،

ورأيته يرفرف كالعثة بيننا ٠

كان هذا أمرا جديدا على ، فأنفى فطن

بل موسيقى غير أنه يكن محمولا على متن الهواء حتى ذلك الحين

ابتسمت فى قلق ، ولكن النظرة الشرقية
انحسرت عنى ، متركزة على الخطر
وأخيرا خرجت وطار أنفى
بخفة عائدا الى وجهى
ارتفع هسيس خفيف واختفى القطار
ضاحكا عبر آسيا ٠

اتجاه الى العنف

وهناك اتجاه الى العنف فى التفكير والتعبير ، يمثله شاعران هما توم جن وناثانيل تارن ٠ وتوم جن شاعر مولود عام ١٩٢٩ ٠ تلقى دراسته فى كامبردج وستانفورد بكاليفورنيا ، نشر ثلاثة دواوين هى : ((**شروط القتال**)) (١٩٥٤) ((**الاحساس بالحركة**)) (١٩٥٧) ، ((**وبابنتى الحزانى**)) (١٩٦١) ٠ ويتسم ـ كما يقول تشارلز توملنسون فى مقالته (الشعر اليوم) (كتاب ((**العصر الحديث**)) ، تحرير بوريس فورد ، بلميكان ، ١٩٦٣) ـ بالحيوية على نحو يذكرنا بهمنجواى ، كما يضع شخصياته فى مواقف سارترية صعبة ، ويستمد رموزه من عالم جيمز دين ومارلون براندو ٠

أما ناثانيل تارن ، صاحب ديوان ((**المتناقضات الجميلة**)) فهو ـ كما يقول ريتشارد هوارد فى مقالته

« شعر الاستكشاف » (جريدة « **ذا تايمز سنداى رفيو** » ٧ يونيو ١٩٦٩) ـ شاعر يتخذ عنفه صورة الثورة على كل ما يشوه انطلاق روح الانسان : تلويث المدينة الكبيرة للأرض والقلب ، التفـــاوت فى تـوزيع الثـروة ، قلة التعاطف ، ضيق أفق الدارسين الأكاديميين ، روتينية العمل ، كبت الدوافع الخلاقة ·

ويستمد ناثانيل تارن الهامه من الانثروبولوجيا ، ومن أعمال كلود ليفى شـــتراوس على وجه الخصوص · ويستخدم الأساطير (خاصة أســاطير أمريكا الجنوبية) للتعبير عن المتناقضات الاجتماعية ومحاولة حلها · كذلك يستلهم عمل برتولت بريخت وأندريه بريتون وقد ترجم باباونيرودا الى الانجليزية ··

تقول عنه اليزابيث جننجز فى مقالتها « الشعر : بحث عن أمانة جديـدة » (جريدة **ذا ديلى تلجراف** ، ٢٤ مارس ١٩٦٦) : « ان تارن يكتب بمباشرة عنيفة عن الأمور الأساسية كالميلاد والطبيعة والزواج والمرض · ان الكلمات تواتى تارن ـ مثلمـا كانت تواتى لورانس وديلان توماس ـ منبثقة من الخبرة مباشرة » ·

الملاحظة السيكولوجية

وتستخدم الشاعرة سينثيا براون منهجا قائما على الاستبصار السيكولوجى ودقة الملاحظة ، كما فى قصيدتهـا

المسماة « فى دلفى » (جريدة « ذا صنداى تايمز » ١٩ يونيو ١٩٦٦) :

السحب المظلمة تستريح على قمم التلال وعند قدم الوادى

قرية
متعلقة
مضغوطة على الشاطىء .
تحت مظلة ، فى المطر المتساقط ،
عند معبد أبولو ، وقعت عيناى عليك
كنت تقف على الجانب الآخر من الأسوار الواقعية
ويداك فى جيبى معطفك الواقى من المطر
وفى عينيك تعبير مستمتع غير مصدق .
تحركت بعيدا
تاركة اياك تستمتع بفرنسية الدليل الفظيعة
وكليتك الجديدة .

كما تكتب الشاعرة سوزان نولز فى قصيدتها « ليس المرء دائما بحاجة الى أن يعرف » (مجلة نيوستيتسمان ١٧ فبراير ١٩٦٧) :

ليس المرء دائما بحاجة الى أن يعرف
أحيانا يكفى أن يكون ثمة شخص ما يعرف
وهكذا يمكنك أن تدعى
المعرفة الكلية ، بالنيابة ، هكذا .

خذ الجمل مثلا ، ذلك الذى يزدرى
مجرد فكرة الانسان التى تثير غضبه
يزمجر على نحو مستمر من خلال أسنانه الصفراء
وهو يمضغ وجبته من الأشواك
يعض المؤمن حين يستطيع -
وانه ليعرف الاسم المائة من أسماء الله .
ولكن فيم تلك النظرة المتشامخة من تحت
أهدابه الكاسحة ؟ نحن نعرف
أنه يعرف .

وجون مول شاعر آخر بارع فى الملاحظة النفسية والتوزيع الأوركسترالى للكلمات ، بحيث يتابع الوزن حركة الفكر . انظر الى قصيدته المسماة « فرويد » (مجلة « **ذاكريتيكال سيرفى** » صيف ١٩٦٧) :

« ارو لى حلمك » قالها فرويد
متفكرا ، وهو يمص قلمه الرصاص
« سأرويه لك ، اذا رويت لى أنت حلمك » ، قالتها المريضة .
مشاكسة
وهى تمص ابهامها
« فى حلمى » قال فرويد :
متفكرا
« فانك تمصين ابهامك »
وتشاكسين

« وبالمثل » قالتها المريضة
مشاكسة
« انك تقفين عارية
فى منظر طبيعى لليوناردو » قالها فرويد
(وهو يجعلها تلوح فى صورة فكرة جاءت بعد الأوان)
« ولكنك بريئة
ومن هنا كان الابهام » .
« وأنت تجلس
قريبا جدا « ، استمرت المريضة فى حديثها
« شديد القرب حتى أن ذلك ليفزعنى أحيانا
ولكنك لا تعدو أن تؤدى صورا تخطيطية متفكرة
ومن هنا كان القلم الرصاص » .
« دعك من هذا ، انك تتخيلين أشياء »
قالها فرويد
مشاكسا
« وهذا هو السبب فى أنى هنا . »
قالتها المريضة
متفكرة .

فهذه القصيدة ـ كما هو واضح ـ تشير الى منهج فرويد فى التحليل النفسى ، ورأيه فى ليوناردو دافنشى الذى ألف عنه كتابا ، ولكنها تمتاز ببراعة النقلات من فرويد الى مريضته ، وتقطيع الجمل وتوزيعها على كل منهما .

اتجاهات أخرى

وليس هؤلاء الا أمثلة لغنى المشهد المعاصر فى الشعر الانجليزى ، فثمة اتجاهات أخرى يمثلها عدة شعراء أهمهم : فيليب لاركن ، وتدهيوز ، وايان كرايتن صميث ، وأوناج لار ، وآن جاكسون ، وغيرهم٠٠

فيليب لاركن

واحد من أبرز الشعراء الانجليز الشبان ٠ ولد عام **١٩٢٢** وكتب رواية اسمها **« فتاة فى الشتاء »**. وثلاثة دواوين **« سفينة الشمال »** (١٩٤٥) **« الأقل انخداعا »** (١٩٥٥) و « **أعراس ويتسان** » (١٩٦٤) ٠ وصفه جون بتجمان بقوله : « هذا الشاعر لا يزعج سكينته شيء ولا يعرف الحسد ، متعاطف : شاعر الشك والخبرة العادية والبحث عن الصدق » ٠

يستمد شعر لاركن ــ كما يقول تشارلز توملينسون، المحاضر فى الأدب الانجليزى بجامعة بريستول فى مقالته « الشعر اليوم » ــ مادته من تعبير عن حسه بالهزيمة وعدم كفايته ، وان كان يفتقر الى القدرة التكنيكية التى مكنت الشاعرين الفرنسيين جول لافورج وتريستان كوربيير من التعبير عن هذا الموضوع ٠ ويكاد المرء يأسف لأن لاركن يرفض أن يدرك أن ما يحاوله اليوم

قد حاوله الشعر الفرنسي منذ عام ١٨٩٠ ، وذلك مثلما يأسف لأن ديلان توماس كان يحاول حتى عهد قريب أن ينجز ما أنجزه رامبو منذ سبعين عاما ٠٠

ومن أشـــهر قصـــائد لاركن قصيدة « الذهاب الى الكنيسة » التي تصور رد فعل شاب لا أدرى ، أو غير مهتم بالدين على الأقل ، يترك دراجته ويدخل الكنيسة ، لامباليا ، ولكنه لا يســـتطيع أن يحول بين نفسه والتأثر بهدوء المكان ، وحضور الله فيه ، وشكل الأرغن الصغير ٠

وفي قصـــيدة « رياح العرس » يكتب على لســـان عروس شابة :

ظلت الرياح تهب طوال يوم زفافي
كانت ليلة زفافي هي ليلة الريح العالية ٠
وكان ثمة باب اسطبل يصطفق ، المرة تلو المرة ،
فاضطر الى أن يمضي ويغلقه ، تاركا اياى
غبية في ضوء الشموع ، أسمع المطر ،
وأرى وجهي في الشمعدان الملتوى
ومع ذلك لا أبصر شيئا ٠ وعندما عاد
قال ان الجياد كانت قلقة ، فحزنت
لأي انسان أو دابة كان ، تلك الليلة ، يفتقر
الى ما عرفته من سعادة ٠

وهي قصيدة تمزج ـ كما يقول كيث ســـاجار في تحليله لهـــا في كتاب « النقد يوضع موضع التطبيق »

(تحرير موريس هسى ، لونجمانز ١٩٦٩) ـ بين البراءة العارية ، والحسية الصراح ، والرهبة الدينية ، وتستمد قوتها من عمق وحذق استجابة لاركن للغة ، مما يصله بالحقائق الدائمة للخبرة ، كما تحتويها اللغة ، انه ـ ككل شاعر ـ يجعل الكلمات تحيا ٠

ويرى كريستوفر ريكس فى مقالة له عن ديوان لاركن « **سفينة الشمال** » (جريدة « **ذا صانداى تايمز** » ٢٥ سبتمبر ١٩٦٦) أن لاركن « أحسن شاعر لدينا بعد الحرب » ، وأنه حرر نفسه من التبعية لأودن وديلان توماس وييتس ، واكتشف فى ١٩٤٦ قصائد هاردى ، وأخيرا وجد صوته الخاص ٠

تدهيوز

وهذا شاعر من يوركشاير ، ولد عام ١٩٣٠ ، وله من الدواوين : « **صقر فى المطر** » (١٩٥٧) « **لوبركال** » (١٩٦٠) « **ودو** » (١٩٦٧) « **قصائد مختارة** » (١٩٦٢) ٠

يدور عدد كبير من قصائده عن عالم الحيوان ، كما كان الشأن مع د ٠ هـ ٠ لورانس ٠ ولكن الفرق بينه وبين لورانس ـ كما يقول أ ٠ الفارز فى جريدة « **ذا اوبزرفر رفيو** » (٢١ مايو ١٩٦٧) ـ هو أنه على حين يتغلغل لورانس فى كيان الحيوانات أو الطيور أو

الزواحف التى يصفها ، كأن بينهما علاقة حب ، يسقط هيوز عليها كل صخب مشاعره وقسوتها وانحصارها فى نطاق كيانها العضوى .

ورؤياه يمثلها قوله :

آدم أكل التفاحة .
حواء أكلت آدم .
الثعبان أكل حواء .

وتتردد هـذه الأصـداء الدينية ، المقترنـة بحس السقطة الأولى ، فى قصيدة : « لاهوت الغراب »
(مجلة « سبكتيتور » ٣٠ مايو ١٩٧٠) :

أدرك الغراب أن الرب يحبه ـ
والا لكان تركه يسقط ميتا .
وهكذا تأكد الأمر

وزاوية النظر التى يتخذها هى ـ عادة ـ المخلوق الذى يتقمصه :

صقر جاثم
أجلس على قمة الغابة ، وعيناى مغمضتان .
اللا فعل ، ليس بالحلم المزيف
بين رأسى المعقوفة ، وقدمى المعقوفتين
أو فى النوم أتلو الطرق المثلى للقتل والأكل
ان الصقر فى هـذه القصيدة الأخيرة ـ كما يقول

آلان جرانت فى كتاب «**النقد يوضع موضع التطبيق**» — ينظر الى العالم نظرة واثقة ، واللغة مبـاشرة مضـغوطة قاطعة • فالصقر — من فوق مجثمه العالى — ملء بالانطلاق والطاقة الوحشية يحتفل بنمط حياته • ان رأسه وقدميه قد صيغتا ، على هذا النحو ،وثمة اتصال حميم بين صحوه ويقظته • فالطبيعة عند هيوز ليست بالكائن الحنون أو المتعاطف مع توق الانسان الى يقين باق ومطلق ، وانما اليقين — المجسـد فى الصقر — عنيف ، لا يعرف التردد ، ويخرج على الاخلاق ••

ايان كرايتن سميث

شـاعر اسـكتلندى ولد عام ١٩٢٨ فى لويس ، واشـتغل بالتدريس فى أوبان ، يتحدث ويكتب بلهجة الكلت الأيرلنديين ، وله مسرحيات وقصص اذاعية بها •

يقول فى قصيدته « لماذا أشعر بالذنب هكذا ؟ » (جريدة ((**ذا سكوتسمان**)) ١٧ مايو ١٩٦٩) :

لماذا أشعر بالذنب هكذا ؟ لم أقتل أحدا
لم أتنفس دخان العظام كأنه عطر

ويقول فى « قصيدة روسية » :

سونيا ،أو بلوموف ، ساشا ، تعالوا من الحديقة
حسبكم كلاما عن « الروح » • و « قضية المرأة »
وبقية ذلك كله •

الى أن يقول :

ألا تسمعون فضة القوزاق وحديدهم
وقرع طبول تاراس بولبا والصرخة الآتية من غرفة النوم ؟

ويقول فى قصيدته « فى الشيخوخة » :

الآن تنـام النهار الذى لم يعد لديه ما يقدمه لك
دعه يحتفظ بوروده وخرائبه وأحجـاره وأنهـــاره وجباله ·

ان شوارعه قد اتجهت الى بلد آخر
حيث الأزقة قد تفضى، تحت الضباب، الى مواجهات لاتصدق ·

التفاح والبرتقال والحرس والتماثيـــل قد رفعت الى الأبد من وراء الأعين · لا شىء يمكن أن يأتى منها الآن ·

وقد أغمضت عينيك كأنها المصاريع الزرقاء للمقاهى
ولايمكن أن يرى حتى آخر شق أخضرلغروب الشمس·
الصحف كتبت آخر فضائحها ، والروايات انتهى منها ·

وليس لك سوى النار ونوم الاستبعاد ·

وان تكن مائة دودة ترقص على المرج فى الثـانية صباحا ·

وفى قصيدة « وجع الأسنان » يقول :

أسنانك تغنى لحنا من الألم خالصا
وكل مغنيات السوبرانو البدينات قد نحلن
يتواثبن من قمة جبل الى قمة جبل
وكان منهن تمسك ببوق ، فى لون الويسكى فى يدها .
سيكون ثمة رؤى ، ولكن لا كتب
فمن المستعد أن يقرأ كارل ماركس فى هذا الطقس الحار ..
أو ان يجلس فى مقعد عاجى صغير ذى مساند
يتأمل الملائكة فى سماء حمراء ؟

أوناج لار

ـ شاعرة تمتاز بوضوح الخط وصفاء التعبير ، وهى متأثرة بالأساطير اليونانية ، تقول فى قصيدتها « هذه الايثاكا » :

حين يحين وقت الاستماع الى السايرينيات
ستكون قد ربطت نفسك الى الصارى
فهن يتغنين بما يشتهيه قلبك
يتغنين بأن الأمر محال :
فليس ثمة معنى ، على الاطلاق ، فى مواصلة الابحار
يتغنين قائلات إنه ليس ثمة مكان تذهب اليه
وان كل الطرق البحرية واحدة
تريد أن تغوص فى الإمواج متجها نحوهن

وأن تحشو حلوقهن العابثة بكلماتهن العابثة
وألا تسمع ، اذ تغرق، مزيدا عن الصدق أو الأكاذيب
أجل ، بيد أنك قد أوثقت نفسك الى صار عند الهدف
وانما هن اللواتى يتعين عليهن أن يمتن بدلا منك
لأنهن لم يحبطن رحلة عودتك الى الديار
أنت وحدك قد سمعت غناءهن وعشت ٠
ولكن هل يسع قلبك أن ينساه ؟

فهـــذا الأوديسيوس الذى تخـــاطبه الشاعرة ليس شخصية أسطورية ، وانما هو كل منا : وغناء السايرينيات العـــذب ليس الا أصـــوات الغـــواية الداخلية ٠ وتدرك الشاعرة ، بحذقها السيكولوجى ، أن الانتصار على الاغراء ليس معناه نسيان عذوبته ٠
وقصيدة « القنطور » التى مطلعها :

يقول اللابيثيون انه لا يمكن أن يكون الانسان جواداً
فان أربعة سيقان ، بدلا من اثنين ، علامة على الطمع

تذكرنا بالقنطورات : تلك الكائنات الأسـطورية ، نصف جياد ونصف بشر ، التى كانت تسكن جبل بليون فى ثيساليا وتعيش حياة طلقة برية ٠ ولا عجب أن يكرهها اللابيثيون فقد كانوا أعداء لها ، منذ نازعتهم مملـكة أبيهم أكسيون ، وحاولت الفرار بهيبوداميا ، عروس بيريثوس، وغيرها من نساء اللابيثيين ٠٠

آلان جاكسون

ولد عام ١٩٣٩ ويعيش في آدنبره ، له ديوان «**عابر السبيل الكئيب**» ، تأملي هادىء ولكنه عميق · يقول في قصيدة «ألاحظ آن الصليب» (صحيفة « **ذاسكوتسمان** » ٢٦ ابريل ١٩٦٩) :

ألاحظ أن الصليب
بلا دوائر من حوله
ولا أى محنيات
وأن قضبانه لا تلتقى
لدى مركز
انه لا يصنع أربعة مربعات متساوية
وان ما هو متروك ، تحته
أكبر
مما هو متروك فوقه

حيث يحل التأمل العقلى المجرد محل الانفعالات الدينية التى ترتبط عادة بالصليب ·

ويقول فى قصيدة « اكتشاف » :

بينما كنت فى الخارج آكافح النيران
عثرت على أيل ميت
مشويا
يرقد كعيد الميلاد

قرب بئر متجدد
كان اكتشافا
طيب المذاق للطاعم
وقد زاده حسنا
مصادفة
أنى كنت جائعا

حيث تنجم المفـارقة عن ان النار التى خرج المتكلم لمكافحتها هى عينها التى شوت الأيل الذى أكله : ان الخير والشر لا ينفصلان ٠

شعراء ليفربول

كذلك نجـــد كوكبة من الشعراء فى مدينة ليفربول تضم برايان باتن وأدريان هنرى وروجر ماكجووت ٠س٠ دينجل ٠ وأغلبهم ــ كما يقول ادوارد لوسى سميث الذى أشرف على اصدار منتخبات شعرية لهم ، عنوانها «مشهد ليفربول» ــ من أبناء الطبقة العاملة ، ولكن ستانلى رينولدز فى مقالته « بوهيميا صغيرة » (مجلة « **نيوستيتسمان** » ٣ مارس ١٩٦٧) يرى أنهم أقرب الى تقاليد الطبقة المتوسطة ويذكر أن أدريان هنرى ابن موظف حكومى ، وأنه درس فى جامعة ديرام ، بينما روجر ماكجو قد درس فى هل ، وكلاهما الآن يشتغل بالتدريس فى احدى الكليات ٠٠

وربما كان ألمع هؤلاء الشعراء هو برايان باتن الذى

أصدر ديوانين : « اعتراف جوني الصغير » و « مذكرات للرجل المسرع» • ان الشعر جزء من حياته وهو يكتبه حتى على تذاكر الأوتوبيس • وقد عانى من شظف العيش ، واشتغل بقطع الأعشاب فى أحد متنزهات ليفربول ، وبيع الصحف اليومية ، ثم سافر الى باريس فى سن السابعة عشرة ، حيث كان يكتب قصائده على الأرصفة ، وهو الآن يتلوها في المشارب، وقد سمعه الناشر فيليب أنوين بمحض المصادفة ـ كما يقول وليم فوستر فى مقالته «برايان باتن شاعرا» ـ فقرر أن ينشر له على الفور ••

يقول برايان باتن فى قصيدته« أغنية الخيوط المتشابكة » (جريدة «ذا ساندآى تايمز» ١٨ يناير ١٩٧٠):

قد لا يأتى هذا المساء •
فالمطر فى الخارج يهطل على الحديقة ، والليلة
ليست مليئة بالكثير :
ربما كان فى بيته ، يخطو المسافة
ما بين زوجته وأطفاله ، أو صامتا ،
منحنيا على البعض ، على أحد ، فى مكان آخر •
وليس معنى هذا أن هذا المكان الآخر يهم ، فالقلب
لم يعد مجنونا الى هذا الحد الآن ، من المفهوم
أننا كثر ، ونحن جميعا
واقعون فى حياة ، أو آخرى ،
نسكب وحدتنا على ظهور
من لا يستطيعون دائما أن يهتموا أكثر من اللازم

وهى قصيدة ، تسجل ، دون أدنى ذرة من الاغراق فى العاطفية ، تلك الحقيقة المؤلمة التى تعلمنا من قديم أنها شرط من شروط الوجود الانسانى : ان كل انسان مونادة مستقلة ، مقفلة على ذاتها ، وان الدروب تتشعب بنا وبمن نحبهم ، فلا نلتقى أو لا نلتقى الا من بعد فوات الأوان ، وذلك ـ على حد قول الشاعر المصرى ـ « ان مانلقاه لانبغيه وما نبغيه لا نلقاه » ٠

وهكذا يتسم الشـــعر الانجليزى اليـــوم بالحبوية والارتباط بالعصر ومعانقة حياة البسطاء ٠ حقا أننا لا نجد فيه شخصيات عملاقة من قامة ييتس أو باوند أو اليوت ، ولكنه يعوض ذلك بصدق التعبير وأصالته ٠

خاتمة

فى الصفحات السابقة محاولة لرسم صورة الشعر الانجليزى فى الثلثين الأولين من هذا القرن ، نود أن نتوقف هنا لكى نلقى عليها نظرة أخيرة ، محاولين تبين ما قد يكون لها من دلالة ٠

لقد تطور الشعر الانجليزى من البساطة الى التركيب، ومن التركيب الى التعقيد ، ورأيناه - فى الستينات والسبعينات - يشهد موجة جديدة من الشعراء الشبان يرتدون به الى ينابيع التلقائية ، ويحتجون على الاسراف فى التفقه الثقافى ويستمدون مادتهم من أفراح الرجل العادى وآلامه ٠

وليس من شأننا هنا أن نحكم على هذا الاتجاه الجديد، سلبا أو ايجابا ، وانما نحاول أن نستخلص مغزاه ومغزى

ماسبقه : وهنا لا نجد مفرا من الانتهــاء الى أن الشعر ـ كالحياة ذاتها ـ يتسع لكل المتناقضات ، ولا ينمو الا على الجدل بين الأطراف المتقــابلة : على التوتر بين الابتداعية والاتباعية ، التجريد والتجسيم ، العقل والوجدان، الصورة والفكرة ، التصوير والتقرير • ففى كل شعر عظيم تلتقى هذه الاطراف ـ أو تتماس على الأقل ـ وتتولد عن التقائها شرارة نبصر العالم على ضوئها من زاوية كانت غائبة عنا من قبل • فالشعر ـ كما كتب كولردج ـ يؤلف بين الأضداد، ويحقق الوحدة فىالتنوع ، أو يرد الكثرة الى وحدة • وهو ليس ـ كما توهم صــغار الرومانتيكيين ـ تهويمات مبتة الصلة بالواقع ، أو تعاملا مع مطلقات مجردة ، وانما هو فلذة حية من لحم الواقع ، يغور فيه حتى العظام العارية ، مثلما تغور السكين فى قطعة من الزبد الطرى • وهو ـ أيضا ـ ادراك تخيلى لهذا الواقع ، وأداة معرفية تتوسل ـ عن طريق المخصص والعينى والمحدد ـ الى وضع « جسم الدنيا » على مائدة التشريح ، وتسليط المجهر على كل عضو من أعضائه ، أوهو ـ ان شئت تغيير الاستعارة ـ مقراب يســـتدنى البعيد ، ويدجن الغرابة • وهو رحلة فى ليل النفس المظلم ، تضيئها (ان واتى الحظ) بروق الحدس بين الحين والحين • انه نقطة اللقــاء بين الذات والعالم ، ولتتعددن فيه وجهات النظر الى العـــالم ما تعددت ذوات الشعراء •

فهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٩٦\١٩٧١

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المركز الرئيسي [illegible] ج . م . ع
تليفون ٧٦١٠٥٥ ٧٦١٠٥٨ [illegible]

الإدارة العامة للتوزيع [illegible] ج . م . ع
تليفون ٩٩٥٥٤ [illegible]

مكتبات الهيئة للتوزيع في ج . م . ع

القاهرة

٣٦ شارع شريف	ت . ٤٠٠١٢	١٩ شارع ٢٦ يوليو	ت . ٥٥٠٣٢
٥ ميدان عرابي	ت . ٤٦٣٨٣	٢٢ شارع الجمهورية	ت . ٩١٤٢٢٣
١٣ شارع المبتديان	ت . ٢٩١١٨٧	الباب الأخضر بالحسين	ت . ٩١٣٤٤٧

الإسكندرية	٤٩ شارع سعد زغلول ت ٢٢٩٢٥	**الجيزة**	[illegible] ت ٨٩٨٣١١
دمنهور	[illegible] ٢٦٠٥	**المنيا**	[illegible] ت ٤٤٥٤
طنطا	ميدان الساعة ٢٥٩٤	**أسيوط**	شارع الجمهورية ت ٢٠٣٢
المحلة الكبرى	ميدان المحطة ٢٧٦	**أسوان**	السوق السياحي ت ٢٩٣٠
المنصورة	[illegible] شارع الثورة ٣٠٦٤		

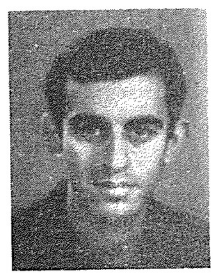
مراكز التوزيع خارج ج . م . ع

لبنان : الشركة القومية للتوزيع [illegible]
المغرب : الشركة القومية للتوزيع [illegible]

وكالات وعملاء دائمين خارج ج . م . ع

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٦ شارع فهد السالم بالكويت
الأردن : مكتبة المحتسب - عمان
ليبيا : محمود عوف التويجي - طرابلس
اندونيسيا : عبد الله محمد العيدروس - جاكرتا
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - تونس
الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة
المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ٤٢ ، ٤٤ الشارع الملكي - الاحباس - الدار البيضاء
هولندا : مكتبة بريل - ليدن

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
في خدمة القارئ العربي



ماهر شفيق فريد

- ولد في القاهرة في ٥ أغسطس عام ١٩٤٤ .
- ليسانس من قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة في ١٩٦٥ .
- مدرس لغة بكلية الآداب، جامعة القاهرة .
- اشتغل مترجما بالمكتب الهندسي لانقاذ آثار بلاد النوبة ، ومترجما بالامانة العامة لمجلس الأمة من ١٩٦٥ الى ١٩٦٩ .
- كتب وترجم في عدد من الصحف والمجلات الأدبيـة وفي البرنامج الثـاني باذاعة القاهرة .

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

- خدمة الفكر القومي والانساني
- تجعل المعرفة متعة تنمي الشعور بالحياة ، وسلاحا يساعد على الانتصار في معركة الحياة

يشرف على السلسلة

الدكتور شكري محمد عياد

يصدر قريبا :

الصلا...

أسرار وأحك...

أول ...

الثم...